



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

I-II A 145-

446/
3225

PHILOSOPHIE UND THEOLOGIE

von

AVERROES.

HERAUSGEgeben

von

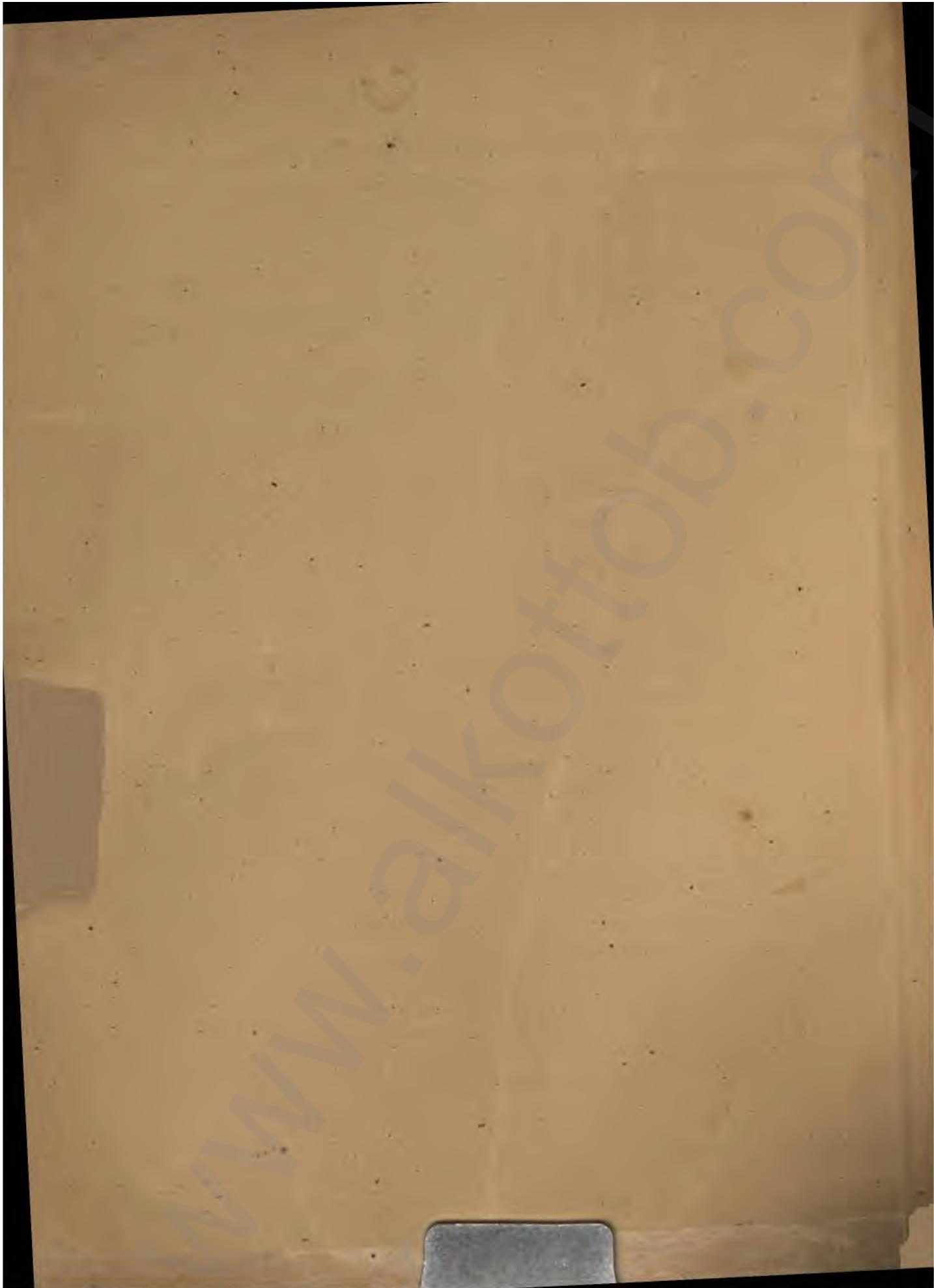
MARCUS JOSEPH MÜLLER.

AUS DEN 'MONUMENTA SÆCULARIA' DER K. B. AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN.

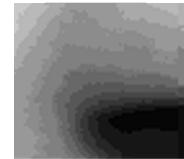
I. CLASSE.

MÜNCHEN 1859.

IN COMMISSION BEI G. FRANZ.



~~bud~~
1 + 5f.



MONUMENTA SAECULARIA.

HERAUSGEGBEN

VON DER

KÖNIGLICH BAYERISCHEN AKADEMIE DER WISSENSCHAFTEN

ZUR

FEIER IHRES HUNDERTJÄHRIGEN BESTEHENS

AM 28. MÄRZ 1859.

I. CLASSE.

3. M. J. MÜLLER: PHILOSOPHIE UND THEOLOGIE VON AVERROES.



MÜNCHEN.

IN COMMISSION BEI G. FRANZ.

PHILOSOPHIE UND THEOLOGIE

VON

AVERROES.

HERAUSGEGEBEN

VON

MARCUS JOSEPH MÜLLER.

MÜNCHEN, 1859.

IN COMMISSION BEI G. FRANZ.



ثلاث رسائل
للشيخ الأجل العلامة أبي الوليد محمد
بن دش

www.alkottob.com

V o r w o r t.

Als erste Frucht der gelehrten Mission, welche ich im Auftrage Seiner Majestät des Königs **Maximilian II.** von Bayern nach Spanien übernommen habe, erscheinen hiemit drei Abhandlungen des grossen Aristotelikers *Ibn Roschd*, welche sich auf die Verbindung der Philosophie und Theologie beziehen.

Sie sind aus der Handschrift des Escorials n°. 632 (bei Casiri n°. 629) genommen.

Die Uebersetzung und Erläuterungen, welche den Texten gleich anzuschliessen wünschenswerth gewesen wäre, aber durch die Umstände unmöglich geworden ist, werden baldigst nachfolgen.

Die Kürze der Zeit, in welcher die Abschrift genommen werden musste und der Druck betrieben wurde, war Ursache, dass einige Unvollkommenheiten sich eingeschlichen haben. Abgesehen von Verschiebungen oder Auslassungen von Teschdiden und ähnlichen Kleinigkeiten, die jeder Kundige leicht verbessert, mache ich auf folgende

التي Correcturen aufmerksam. 1. 7. — شخص 14. das letzte Wort gehört an das Ende von Seite 12. — 19. 13. — 21. 3. يأتي 25. 21. — الشارع 22. 7. — الناس في الشريعة 28. 14. — نبتدي 30. 6. — صلعم vor الشارع. 29. 12. — نبتدي وأما 32. 14. — ذلك nach هاعنا 17. 13. — وإنما 34. 13. — خلو statt خلف 42. 9. 35. 17. — النظار nach إنما. 43. 14. — بالناس statt في الإنسان 44. 2. آلهة كثيرة 48. 4. — ذلك nach هي 47. 8. — لها statt بها 54. 12. — عسر nach تصور 63. 19. — لا لهم 62. 7. —Nach الله 64. 7. — للخالق 66. 9. — ماهية يمثل لهم 87. ult. — ظنهم 70. 7. — حال هذه 73. 14. — طلاقه القوم 75. 8. — ظاهرة 78. 1. — الجسم قالوا 79. 4. — الرسل 94. 7. — المخواز 94. 15. — التقلل nach الذي يظهر 96. 13. — الامر nach في نفسه 94. 20. — ايضاً 103. 7. — ابرئ 103. 7. — ان 98. 15. — معرفته 117. 16. — الجنين 111. 13. — وجودها vor في 111. 8. — خطابي passim statt خطابي

M. J. Müller.

كتاب فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

تأليف القاضي الامام العالم المتوفى ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد

قال الفقيه الاجل الاوحد العلامة الصدر الكبير القاضي الاعدل ابو
الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد رضي الله
عنه ورحمة

اما بعد حمد الله جميع حامده والصلاه على محمد عبد المظفر المصطفى
ورسوله فان الغرض من هذا القول ان نشخص على جهة النظر الشرعي هل
النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع ام محظوظ ام مأمور به اما
على جهة الندب واما على جهة الوجوب فنقول ان كان فعل الفلسفة ليس
شيئاً اكثراً من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع
اعنى من جهة ما هي مصنوعات فان الموجودات انما تدل على الصانع
لمعرفة صنعتها وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم كانت المعرفة بالصانع
اتم وكان الشرع قد ندب الى اعتبار الموجودات وحث على ذلك فبيّن ان ما
يدل عليه هذا الاسم إما واجب بالشرع وإما مندوب اليه فأما ان الشرع
دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به فذلك بيّن في غير

ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى مثل قوله فاعتبروا يا أولى الابصار وهذا فض على وحوب استعمال القياس العقلى او العقلى والشرعى معًا ومثل قوله تعالى اولم ينظروا في ملکوت السموات والارض وما خلق الله من شىء وهذا نص بالخت على النظر في جميع الموجودات واعلم تعالى ان متن خصه بهذا العلم وشرفه ابرهيم عم فقال تعالى وكذلك ثرى ابرهيم ملکوت السموات والارض الآية وقال تعالى افلا ينظرون الى الابد كيف خلقت والى السماء كيف رفعت وقال الذين يتفكرون في خلق السموات والارض الى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة وإذا تقرر ان الشرع قد اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها وكان الاعتبار ليس شيئا أكثر من استنباط الجھول من المعلوم واستخراجھ منه وهذا هو القياس او بالقياس فواجب ان يجعل نظرنا في الموجودات بالقياس العقلى ويبيّن ان هذا النحو من النظر الذى دعا اليه الشرع وحث عليه هو اتم انواع النظر باتم انواع القياس وهو المسمى ببرهانًا وإذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان كان من الافضل او الامر الضروري لمن اراد ان يعلم الله تبارك وتعالى وسائل الموجودات بالبرهان ان يتقدم اولاً فيعلم انواع البراهين وشروطها وبما ذا يخالف القياس البرهانى القياس الجدى والقياس الخطبى والقياس المغالطى وكان لا يمكن ذلك دون ان يتقدم فيعرف قبل ذلك ما هو القياس المطلق وكم انواعه وما منها قياس وما منها ليس بقياس وذلك لا يمكن ايضا او يتقدم فيعرف قبل ذلك اجزاء القياس التي منها تقدمت اعني المقدمات وانواعها فقد يجب على المؤمن بالشرع المتمثل امرة بالنظر في الموجودات ان يتقدم قبل النظر فيعرف هذه الاشياء التي تتنزّل

من النظر منزلة الآلات من العمل فانه كما ان الفقيه يستنبط من الامر بالتفقه في الاحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على انواعها وما منها قياس وما منها ليس بقياس كذلك يجب على العارف ان يستنبط من الامر بالنظر في الموجودات وجوب معرفة القياس العقلاني وانواعه بل هو اخرى بذلك لانه اذا كان الفقيه يستنبط من قوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار وجوب معرفة القياس الفقهي فبالحرى ان يستنبط من ذلك العارف بالله وجوب معرفة القياس العقلاني وليس لقائل ان يقول ان هذا النوع من النظر في القياس العقلاني بدعة اذ لم يكن في الصدر الاول فان النظر ايضاً في القياس الفقهي وانواعه هو شيء استنبط بعد الصدر الاول وليس يرى انه بدعة فكذلك يجب ان نعتقد في النظر في القياس العقلاني ولهذا سبب ليس هذا موضع ذكره بل اكثر اصحاب هذه الملة مثبتون القياس العقلاني الا طائفة من الحشوية قليلة وهم ممحوجون بالنصوص وادا تقرر انه يجب بالشرع النظر في القياس العقلاني وانواعه كما يجب النظر في القياس الفقهي فيبين انه إن كان لم يتقدم احد من قبلنا بفحص عن القياس العقلاني وانواعه انه يجب علينا ان نبتدىء بالفحص عنه وان يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم حتى تكمل المعرفة به فانه عسير او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقائه وابتداء على جميع ما يحتاج اليه من ذلك كما انه عسير ان يستنبط واحد جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهي بل معرفة القياس العقلاني اخرى بذلك وان كان غيرنا قد فحص عن ذلك فيبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركاً لنا او غير مشارك في الملة فان الآلة التي تصم بها التركيبة

ليس يعتبر في صحة التذكير بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة او غير مشارك اذا كانت فيها شروط العجّة واعنى بغير المشارك من نظر في هذه الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام واذا كان الامر هكذا وكان كل ما يحتاج اليه من النظر في امر المقايس العقلية قد فحص عنه القدماء اتم فحص فقد ينبغي ان نصرب بآيدينا الى كتابهم فننظر فيما قالوه من ذلك فان كان كلة صوابا قبلناه منهم وان كان فيه ما ليس بصواب فهو علينا فاذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التي بها تقدر على الاعتبار في الموجودات ودلالة الصنعة فيها فان من لا يعرف الصنعة لا يعرف المصنوع ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع فقد يجب ان نشرع في الفحص عن الموجودات على الترتيب وال نحو الذي استفادناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية وبين ايضا ان هذا الغرض اتى يتم لنا في الموجودات بتناول الفحص عنها واحدا بعد واحد وان يستعين في ذلك المتأخر بالمتقدم على مثال ما عرض في علوم التعاليم فانه لو فرضنا صناعة الهندسة في وقتنا هذا معبدومة وكذلك صناعة علم الهيئة ورام انسان واحد من تلقائه نفسه ان يدرك مقادير الاجرام السماوية واشكالها وابعاد بعضها عن بعض لما امكنه ذلك مثل ان يعرف قدر الشمس من الارض وغير ذلك من مقادير الكواكب ولو كان اذكي الناس طبعا الا بروح او شيء يشبه الوحي بل لو قيل له ان الشمس اعظم من الارض بنحو مائة وخمسين ضعفا او ستين لعد هذا القول جنونا من قائله وهذا شيء قد قام عليه البرهان في علم الهيئة قياما لا يشك فيه من هو من اصحاب ذلك العلم واما الذي احوج في هذا الى التمثيل بصناعة التعاليم بهذه صناعة

أصول الفقه و الفقه نفسه لم يكمل النظر فيها الا في زمن طويل ولو رام انسان اليوم من تلقاء نفسه ان يقف على جميع الجحج التي استنبطها النظار من اهل المذاهب في مسائل الخلاف التي وضعت المناقضة فيها بينهم في معظم بلاد الاسلام ما عدا المغرب لكان اهلا ان يتحقق منه لكون ذلك ممتنعا مع وجود ذلك مفروغا منه وهذا امر ببين بنفسه ليس في الصناع العلمية فقط بل وفي العملية فانه ليس منها صناعة يقدر ان ينشئها واحد بعينه فكيف بصناعة الصنائع وهي الحكمة واذا كان هذا هكذا فقد يجب علينا ان أفيينا لمن تقدمنا من الامم السالفة نظرا في الموجودات واعتبارا لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان ان ننظر في الذي قالوه من ذ لك وما اثبتوا في كتبهم فما كان منها موافقا للحق قبلناه منهم وسررنا به وشكرا لهم عليه وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحدّرنا منه وعدّرناهم فقد تبيّن من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب با لشرع اذ كان مغراهم في كتبهم ومقصدهم هو المقصود الذي حثنا الشرع عليه وان من نهى عن النظر فيها من كان اهلا للنظر فيها وهو الذي جمع امررين احدهما ذكاء الفطرة والثانى العدالة الشرعية والفضيلة الخلقيّة فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المودي الى معرفة حق المعرفة وذلك غاية الجهل والبعد عن الله تعالى وليس يلزم من انه ان غوى غاو بالنظر فيها وزال زال إما من قبل نقص فطرته وإما من قبل سوء ترتيب نظره فيها او من قبل غلبة شهواته عليه او انه لم يوجد معلما يرشده الى فهم ما فيها او من قبل اجتماع هذه الاسباب فيه او أكثر من واحد منها ان تمنعها عن الذي

هو اهل للنظر فيها فان هذا النحو من الضرر الداخل من قبلها هو شيء لحقها بالعرض لا بالذات وليس يجب فيما كان نافعا بطبعا عنه وذاته ان يترك لمكان مقدرة موجودة فيه بالعرض ولذلك قال عليه السلام للذى امره ب斯基 العسل اخاه لاسهال كان فيه فتنزيل الا سهال به لما سقاه العسل وشك ذلك اليه صدق الله وكذب بطن أخيك بل نقول ان مثل من منع النظر في كتب الحكمة من هو اهل لها من اجل ان قوما من اراذل الناس قد يظن بهم انهم ضلوا من قبل نظرهم فيها مثل من منع العطشان شرب الماء البارد العذب حتى مات لأن قوما شرقوا به فماتوا فان الموت عن الماء بالشوق امر عارض وعن العطش ذاتي وضروري وهذا الذى عرض لهذه الصناعة هو شيء عارض لسائر الصنائع فكم من فقيه كان الفقه سببا لقلة تورعه وخوضه في الدنيا بل أكثر الفقهاء هكذا نجده وصناعتهم إنما تقتضي بالذات الفضيلة العملية فإذا لا يبعد ان يعرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العملية ما عرض في الصناعة التي تقتضي الفضيلة العلمية وإذا تقرر هذا كلة وكنا نعتقد عشر المسلمين ان شريعتنا هذه الالهية حق وإنما التي ثبتهت على هذه السعادة ودعت إليها التي هي المعرفة بالله جل وعز وبمحلوقاته وإن ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذي اقتضته جلالة وطبيعته من التصديق وذلك أن طباع الناس متغاضلة في التصديق فمنهم من يصدق بالبرهان ومنهم من يصدق بالاقاويد الجدلية تصدق يق صاحب البرهان إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ومنهم من يصدق بالاقاويد الخطبية كتصديق صاحب البرهان بالاقاويد البرهانية وذلك أنه لما كانت شريعتنا هذه الالهية قد

دعت الناس من هذه الطرق الثلاث عم التصديق بها كل انسان الا من يجدها عنا دأ بلسانه او لم تقرر عنده طرق الدعاء فيها الى الله تعالى لاغفاله ذلك من نفسه ولذلك خص عليه السلام بالبعث الى الاحمر و الاسود اعني لتضمن شريعته طرق الدعاء الى الله تعالى وذلك صريح في قوله تعالى أدع الى سبيل ربيك بالحكمة والمواعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن .. واذا كانت هذه الشرائع حقاً وداعية الى النظر المؤدى الى معرفة الحق فاتا عشر المسلمين نعلم على القاطع انه لا يُؤدي النظر البرهانى الى خالفة ما ورد به الشرع فان الحق لا يفتأم الحق بدل يوا فقة ويشهد له واذا كان هذا هكذا فان ادى النظر البرهانى الى نحو ما من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود ان يكون قد سُكت عنه في الشرع او عُرف به فان كان مما سكت عنه فلا تعارض هناك وهو بمنزلة ما سكت عنه من الاحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعى وان كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موافقاً لما ادى اليه البرهان فيه او مخالفها فان كان موافقاً فلا قول هناك وان كان مخالفها طلب هناك تاویله ومعنى التاویل هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقة الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عودت في تعريف اصناف الكلام المجازى واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحرى ان يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه ائماً عند قياس ظنّي والعارف عند قياس يقيني ونحن نقطع قطعاً ان كل ما ادى اليه البرهان وخلافه ظاهر الشرع ان

ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب بها مؤمن وما اعظم ارديةاد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربة وقصد هذا المقصود من الجمع بين .المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع مخالف بظاهره لما ادى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصحت سائر اجرائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد ولهذا المعنى اجمع المسلمين على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل واختلفوا في الماؤل منها من غير المتأول فالأشعريون مثلاً يتأنلون آية الاستواء وحديث النزول والحنابلة تحمل ذلك على ظاهرة والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين مزاجهم في التصديق والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبية الراتخين في العلم على التأويل الجامع بينهما ٠٠ فالي هذا المعنى وردت الاشارة بقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات حكمة الى قوله والراشدون في العلم فان قال قائل ان في الشرع اشياء قد اجمع المسلمين على حملها على ظواهرها وأشياء على تأويلها وأشياء اختلفوا فيها فهل يجوز ان يوحي البرهان الى تأويل ما اجمعوا على ظاهرة او ظاهر ما اجمعوا على تأويله قلنا اما لو ثبت الاجماع بطريق يقيني لم يصح وان كان الاجماع فيها ظنياً فقد يصح ولذلك قال ابو حامد وابو المعالى وغيرهما من ائمة النظر انه لا يقطع بكفر من خرق الاجماع في التأويل في امثال هذه الاشياء وقد يدل ذلك على ان الاجماع لا يتقرر في النظريات بطريق يقيني كما يمكن ان يتقرر في العمليات انه ليس يمكن

ان يتقرّر الاجماع في مسّئلة ما في عصر ما الا بان يكون ذلك العصر عندنا حصورا وان يكون جميع العلماء الموجودين في ذلك العصر معلومين عندنا اعني معلوما اشخاصهم ومبلغ عددهم وان ينقل اليانا في المسّئلة مذهب كل واحد منهم فيها نقل تواتر ويكون مع هذا كله قد صلح عندنا ان العلماء الموجودين في ذلك الزمان متّفقون على انه ليس في الشرع ظاهر وباطن وان العلم بكل مسّئلة يجب الا يكتوم عن احد وان الناس طريقهم واحد في علم الشريعة واما وكتير من الصدر الاول قد نقل عنهم انهم كانوا يرون ان للشرع ظاهرا وباطنا وانه ليس يجب ان يعلم بالباطن من ليس من اهل العلم به ولا يقدر على فهمه مثل ما روى البخاري عن على رضي الله عنه انه قال حدثنا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله ومثل ما روى من ذلك عن جماعة من السلف فكيف يمكن ان يتصور اجماع منقول اليانا عن مسّئلة من المسائل النظرية ونحن نعلم قطعا انه لا يخلو عصر من الاعصار من علماء يرون ان في الشرع اشياء لا ينبغي ان يعلم بحقيقةها جميع الناس وذلك بخلاف ما عرض في العمليات فان الناس كلهم يرون اشياءها لجميع الناس على السواء ويكتفى حصول الاجماع فيها بان تنتشر المسّئلة فلا ينقل اليانا فيها خلاف فان هذا كلف في حصول الاجماع في العمليات بخلاف الامر في العمليات فان قلت واذا لم يجب التكثير بخرق الاجماع في التأويل اذ لا يتصور في ذلك اجماع بما تقول في الفلسفة من اهل الاسلام كابي نصر وابن سينا فان ابا حامد قد قطع بتکفيرهما في كتابه المعروف بالتهافت في ثلاثة مسائل في القول بقدم العالم وبأنه تعالى لا يعلم الجزيئات تعالى عن ذلك وفي

تاویل ما جاء في حشر الاجساد واحوال المعاد قلنا الظاهر من قوله في ذلك انه ليس تكفيه ايها في ذلك قطعا اذ قد صرّح في كتاب التفرقة ان التكفيه بحرق الاجماع فيه احتمال وقد تبيّن من قولنا انه ليس يمكن ان يتقرر اجماع في امثال هذه المسائل لما روى عن كثير من السلف الاول فضلا عن غيرهم ان هاهنا تأويلات لا يجب ان يفصح بها الا من هو من اهل التأویل وهم الراسخون في العلم لأن الاختيار عندنا هو الوقوف على قوله تعالى والراسخون في العلم لأنه اذا لم يكن اهل العلم يعلمون التأویل لم تكن عندهم مزية تصدق توجب لهم من الایمان به ما لا يوجد عند غير اهل العلم وقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون به وهذا اتها يحمل على الایمان الذي يكون من قبل البرهان وهذا لا يكون الا مع العلم بالتأویل فان غير اهل العلم من المؤمنين هم اهل الایمان بها لا من قبل البرهان فان كان هذا الایمان الذي وصف الله به العلماء خاصا بهم فيجب ان يكون بالبرهان واذا كان بالبرهان فلا يكون الا مع علم التأویل لأن الله عز وجل قد اخبر ان لها تأويلا هو الحقيقة والبرهان لا يكون الا على الحقيقة واذا كان كذلك فلا يمكن ان يتقرر في التأويلات التي خص الله العلماء بها اجماع مستفيض وهذا بيّن بنفسه عند من انصف والى هذا كله فقد ذرني ابا حامد قد غلط على الحكمة المشائين فيما نسب اليهم من انهم يقولون انه تقدس وتعالى لا يعلم الجزيئات اصلا بل يرون انه تعالى يعلمها بعلم غير مجازس لعلمنا بها وذلك ان علمنا معلوم للمعلوم به فهو حدوثه ومتغير بتغيره وعلم الله سبحانه بالوجود على مقابل هذا فانه علة للمعلوم الذي هو الموجو فمن شبه

العلمين احدهما بالآخر فقد جعل ذوات المتقابلات وخواصها واحدة وذلك غاية الجهل فاسم العلم اذا قيل على العلم المحدث و القديم فهو مقول باشتراك الاسم المخصوص كما يقال كثير من الاسماء على المتقابلات مثل الجلل المقول على العظيم والصغرى والصريح المقول على الضوء والظلمة ولهذا ليس هاهنا حد يشمل العلمين جميعاً كما توهّم المتكلمون من اهل زماننا وقد افردنا في هذه المسألة قولًا حرّكنا اليه بعض اصحابنا وكيف يتوقّم على المشائين انهم يقولون انه سبحانه لا يعلم بالعلم القديم الجزيئات وهم يرون ان الروايا الصادقة تتضمن الانذارات بالجزئيات الحادثة في الزمان المستقبل وان ذلك العلم المنذر يحصل للانسان في النوم من قبل العلم الازلي المدبر للكلّ والمستوى عليه وليس يرون انه لا يعلم الجزيئات فقط على النحو الذي نعلميه خن بدل ولا الكلّيات فان الكلّيات المعلومة عندنا معلولة ايضاً عن طبيعة الموجوه والامر في ذلك العلم بالعكس ولذلك ما قد ادى اليه البرهان ان ذلك العلم منزه عن ان يوصف بكلي او بجزئي فلا معنى للاختلاف في هذه المسألة اعني في تكفيّرهم او لا تكفيّرهم واما مسألة قدم العالم او حدوثه فان الاختلاف فيها عندي بين المتكلمين من الاشعرية وبين الحكمة المتقديرين يكاد ان يكون راجعاً للاختلاف في التسمية وبخاصة عند بعض القدماء وذلك انهم اتفقوا على ان هاهنا ثلاثة اصناف من الموجودات طرفان وواسطة بين الطرفين فاتفقوا في تسمية الطرفين واختلفوا في الواسطة فاما الطرف الواحد فهو موجود وجد من شيءٍ غيره و عن شيءٍ اعني عن سبب فاعل و من مادة و الزمان متقدّم عليه اعني على وجوده وهذه هي حال الاجسام التي يدرك تكوّنها

بالحسّ مثل تكون الماء والهواء والارض والحيوان والنبات وغير ذلك فهذا الصنف من الموجودات اتفق الجميع من القدماء والاشعر يبين على تسميتها حديثة واما الطرف المقابل لهذا فهو موجود لم يكن من شى ولا عن شى ولا تقدمة زمان وهذا ايضا اتفق الجميع من الفرقتين على تسميتها قدیما وهذا الموجود مدرك بالبرهان وهو الله تبارك وتعالى الذى هو فاعل الكل موجودة والحافظ له سبحانه وتعالى قدره ۰۰ واما الصنف من الموجود الذى بين هذين الطرفين فهو موجود لم يكن من شى ولا تقدمة زمان ولاكته موجود عن شى اعنى عن فاعل وهذا هو العالم باسره والكل منهم متفق على وجود هذه الصفات الثلاث للعالم فان المتكلمين يسلّمون ان الزمان غير متقدم عليه او يلزمهم ذلك اذ الزمان عندهم شيء مقارن للحركات والاجسام وهم ايضا متفقون مع القدماء على ان الزمان المستقبل غير متناه وكذلك الوجود المستقبل وانما يختلفون في الزمان الماضي والوجود الماضي فالمتكلمون يرون انه متناه وهذا هو مذهب افلاطون وشيعته وارسطو وفرقته يرون انه غير متناه ك الحال في المستقبل فهذا الوجود الآخر الامر فيه يبين انه قد اخذ شبهها من الوجود الكائن الحقيقى ومن الوجود القديم فمن غالب عليه ما فيه من شبه القديم على ما فيه من شبه المحدث سواء قدیماً ومن غالب عليه ما فيه من شبه المحدث سواء حدثاً وهو في الحقيقة ليس حدثاً حقيقياً ولا قدیماً حقيقياً فان المحدث الحقيقي فالدعا ضرورة والقديم الحقيقي ليس له علة ومنهم من سواء حدثاً ارلياً وهو افلاطون وشيعته تكون الزمان متناه عندهم من الماضي فالمنداحب في العالم ليست تبتعد كل التباعد حتى يكفر بعضها ولا يكفر فان الاراء

شانها هذا يجب ان تكون في الغاية من التباعد اعني ان تكون متقابلة كما ظن المتكلمون في هذه المسئلة اعني ان اسم القدم والحدث في العالم باسره هو من المقابلة وقد تبيّن من قولنا ان الامر ليس كذلك وهذا كله مع ان هذه الاراء في العالم ليست على ظاهر الشرع فان ظاهر الشرع اذا تصفح ظهر من الآيات الواردة في الانباء عن ايجاد العالم ان صورته محدثة بالحقيقة وان نفس الوجود والرمان مستمر من الطرفين اعني غير منقطع وذلك ان قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء يقتضي بظاهره ان وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء وزماناً قبل هذا الرمان اعني المقترب بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات يقتضي ايضا بظاهره ان وجوداً ثانياً بعد هذا الوجود وقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان يقتضي بظاهره ان السموات خلقت من شيء والمتكلمون ليسوا في قولهم ايضا في العالم على ظاهر الشرع بل متاؤلون فانه ليس في الشرع ان الله كان موجوداً مع العدم المحسوس ولا يوجد هذا فيه نصاً ابداً فكيف يتصور في تأويل المتكلمين في هذه الآيات ان الاجماع انعقد عليه والظاهر الذي قلناه من الشرع في وجود العالم قد قال به فرقة من الحكماء ويشبه المختلفون في هذه المسائل العريضة إما مصيبيون مأجورون وإما خطئون معدورون فان التصديق بالشيء من قبل الدليل القائم في النفس هو شيء اضطراري لا اختياري اعني انه ليس لنا ان لا نصدق او نصدق كما لنا ان نقوم او لا نقوم واذا كان من شرط التكليف الاختيار فالصدق بالحظا من قبل شبهة عرضت له اذا كان من اهل العلم معدور

ولذلك قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فاصاب فعله اجران وان اخطأ فعله اجر وای حاکم اعظم من الذى يحكم على الوجود باته كذا او ليس بكذا وهو لاء الحکام هم العلما الذين خصمهم الله بالتاویل و هذا الخطأ المصحوح عنه في الشرع ائما هو الخطأ الذي يقع من العلماء اذا نظروا في الاشياء العویضة التي كلفهم الشرع النظر فيها واما الخطأ الذي يقع من غير هذا الصنف من الناس فهو اثم محض وسواء كان الخطأ في الامور النظرية او العلمية فكان الحاکم الجاھل بالسنة اذا اخطأ في الحكم لم يكن معذورا كذلك الحاکم على الموجودات اذا لم توجد فيه شروط الحكم فليس بمعذور بل هو إما آثم وإما كافر وإذا كان يشترط في الحاکم في الحلال والحرام ان تجمع له اسباب الاجتهاد وهو معرفة الاصول ومعرفة الاستنباط من تلك الاصول بالقياس فكم بالحري ان يشترط ذلك في الحاکم على الموجودات اعني ان يعرف الاوائل العقلية ووجه الاستنباط منها وبالجملة فالخطأ في الشرع على ضربين إما خطأ يعذر فيه من هو من اهل النظر في ذلك الشيء الذي وقع فيه الخطأ كما يعذر الطبيب الماهر اذا اخطأ في صناعة الطب والحاکم الماهر اذا اخطأ في الحكم ولا يعذر فيه من ليس من اهل ذلك الشان واما خطأ ليس يعذر فيه احد من الناس بل ان وقع في مباديء الشريعة فهو كفر وان وقع فيما بعد المباديء فهو بدعة وهذا الخطأ هو الخطأ الذي يكون في الاشياء التي تفضي جميع اصناف طرق الدلائل الى معرفتها فتكون معرفة ذلك الشيء بهذه الجهة ممكنة للجميع وهذا مثل الافتراض بالله تبارك وتعالى وبالنبوت وبالسعادة الاخراوية والشقاء الاخراوي وذلك ان هذه الاصول الثلاثة يؤدي اليها اصناف الدليل الثلاثة التي

لا يعرى احد من الناس عن وقوع التصديق له من قبلها بالذى كلف معرفته اعنى الدلائل الخطبية والجدلية والبرهانية فالجاحد لامثال هذه الاشياء اذا كانت اصلاً من اصول الشرع كافر معاند بلسانه دون قلب او بغلته عن التعرض الى معرفة دليلها لانه ان كان من اهل البرهان فقد جعل له سبيل الى التصديق بها بالبرهان وان كان من اهل الجدل فبالجدل وان كان من اهل الموعظة فبالموعظة ولذلك قال عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويؤمنوا بي يريد باى طريق اتفق لهم من طرق الایمان الثلاث واما الاشياء التي لخفائها لا تعلم الا بالبرهان فقد تلطّف الله فيها لعبادة الذين لا سبيل لهم الى البرهان إما من قبل نظرهم وإما من قبل عادتهم ودعائم الى التصديق بتلك الامثال اذ كانت ضرب لهم امثالها واسبابها ودعائم الى التصديق بتلك الامثال يمكن ان يقع التصديق بها بالادلة المشتركة للجميع اعنى الجدلية والخطبية وهذا هو السبب في ان انقسم الشرع الى ظاهر وباطن فان الظاهر هو تلك الامثال المضروبة لتلك المعانى والباطن هو تلك المعانى التي لا تنجلى الا لاهل البرهان وهذه هي اصناف تلك الموجودات الاربعة او الخمسة التي ذكرها ابو حامد في كتاب التفرقة واذا اتفق كما قلنا ان نعلم الشيء بنفسه بالطرق الثلاث لم نختجى ان نضرب له امثالاً وكان على ظاهره لا يتطرق اليه تأويلاً وهذا النحو من الظاهر ان كان في الاصول فالمتناول له كافر مثل من يعتقد انه لا سعادة اخراوية هاه هنا ولا شقاء وانه ائمـا قصد بهذا القول ان يسلم الناس بعضهم من بعض في ايدانهم وحواسـهم وانها حيلة وانه لا غاية للانسان الا وجودـة المحسوس فقط واذا تقرر هذا

فقد ظهر لك من قولنا أنّ هاهنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله نان كان تأويله في المبادئ فهو كفر وإن كان فيما بعد المبادئ فهو بدعة وهنا أيضاً ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله وحملهم آياته على ظاهرة كفر وتأويل غير أهل البرهان له وخروجها عن ظاهرة كفر في حقهم أو بدعة ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزول ولذلك قال عليه السلام في السوداء إذا أخبرته أن الله في السماء اعتقدها فأنها مؤمنة إذ كانت ليست من أهل البرهان والسبب في ذلك أنّ الصنف من الناس الذين لا يقع لهم التصديق إلا من قبل التخييل اعني أنه لا يصدقون بالشيء إلا من جهة ما يتخيّلونه يعسر وقوع التصديق لهم بموجود ليس منسوباً إلى شيء متخيل ويدخل أيضاً على من لا يفهم من هذه النسبة إلا المكان وهم الذين شدوا على رتبة الصنف الأول قليلاً في النظر اعتقاد الجسمية ولذلك كان الجواب لهؤلاء في أمثال هذه أنها من المتشابهة وإن الرفق في قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله وأهل البرهان مع أنهم جمعون في هذا الصنف أنه من المأول فقد يختلفون في تأويله وذلك بحسب مرتبة كل واحد من معرفة البرهان وهاهنا صنف ثالث من الشرع متعدد بين هذين الصنفين يقع فيه شك في لحمة قوم ممن يتعاطى النظر بالظاهر الذي لا يجوز تأويله ويلحقة آخرون بالباطن الذي لا يجوز حمله على الظاهر للعلماء وذلك لعواضة هذا الصنف واشتباهه والمنحط في هذا معدور اعني من العلماء فإن قيل فإذا تبيّن أنّ الشرع في هذا على ثلاث مراتب فمن أي هذه المراتب الثلاث هو عندكم ما جاء في صفات المعاد واحواله فنقول إن هذه المسألة الامر فيها بيان أنها من الصنف المختلف فيه وذلك أنا نرى

قوماً ينسبون انفسهم الى البرهان يقولون ان الواجب حملها على ظاهرها اذ كان ليس هاهنا برهان يؤدي الى استحالة الظاهر فيها وهذه طريقة الاشعرية وقوم آخر ممن يتعاطى البرهان يتأنونها وهؤلاء يختلفون في تأويلها اختلافاً كثيراً وفي هذا الصنف هو ابو حامد معدود وكثير من المتصرفة ومنهم من يجمع فيها التأويليين كما يفعل ذلك ابو حامد في بعض كتبه ويشبه ان يكون المنحط في هذه المسئلة من العلماء معدوراً والمصيّب مشكورة او ماجورة وذلك اذا اعترض بالوجود وتأول فيها خوا من اخاء التأويل اعني في صفة المعاد ولا في وجوده اذا كان التأويل لا يؤدي الى نفي الوجود وانما كان جحد الوجود في هذه كفراً لانه في اصل من اصول الشريعة وهو مما يقع التصديق به في الطرق الثلاث المشتركة للاحمر والاسود واما من كان من غير اهل العلم فالواجب حملها على الظاهر وتأويلها في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر ولذلك ما نرى ان من كان من الناس فرضه الایمان بالظاهر فالتأويل في حقه كفر لانه يؤدي الى الكفر فمن افشاء له من اهل التأويل فقد دعاه الى الكفر والداعي الى الكفر كافر ولهذا ما لا يجب ألا تثبت التأويلات إلا في كتب البراهين لانها اذا كانت في كتب البراهين لم يصل اليها الا من هو من اهل البرهان واما اذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشعرية والخطبية او الجدلية كما يصنعة ابو حامد خطأ على الشرع وعلى الحكمة وان كان الرجل انما قصد خيراً وذلك انه رام ان يكثر اهل العلم بذلك ولكن كثر بذلك الفساد ليس بدون كثرة اهل العلم وتطرّق بذلك قوم الى ثلب الحكمة وقوم الى ثلب الشريعة وقوم الى الجمع بينهما ويشبه ان يكون هذا احد مقاصده

بكتبه والدليل على انه رام بذلك تنبية الفطر انه لم يلزم مذهبنا من المذاهب في كتبه بل هو مع الاشاعرة اشعرى ومع الصوفية صوفي ومع الفلسفة فيلسوف وحتى انه كما قيل

يوماً يماني اذا لقيت ذا يمن وان لقيت معدياً فعدنان

والذى يجب على ائمة المسلمين ان ينهوا عن كتبه التي تتضمن العلم الا من كان من اهل العلم كما يجب لهم ان ينهوا عن كتب البرهان من ليس اهلا لها وان كان الضرر الداير على الناس من كتب البراهين اخف لانه لا يقف على كتب البرهان في الاكثر الا اهل الفطر الفائقة واتما يوتي هذا الصنف من عدم الفضيلة العلمية والقراءة على غير قرتاب وأخذها من غير معلم ولكن سعيها بالجملة صاد لما دعا اليه الشرع لانه ظلم لافضل اصناف الناس وافضل اصناف الموجودات اذ كان العدل في افضل اصناف الموجودات ان يعرفها على كنهها من كان معداً لمعرفتها على كنهها وهم افضل اصناف الناس فانه على قدر عظم الموجود يعظم الجور في حقه الذي هو الجهد به ولذلك قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فهذا ما رأينا ان ثبتته في هذا الجنس من النظر اعني التكلم بين الشريعة والحكمة واحكام التأويل في الشريعة ولو لا شهرة ذلك عند الناس وشهرة هذه المسائل التي ذكرناها لما استخرنا ان نكتب في ذلك حرفاً ولا ان نعتذر في ذلك لاهل التأويل بعدر لأن شان هذه المسائل ان تذكر في كتب البرهان والله الهادي والموفق للصواب . . . وينبغى ان تعلم ان مقصود الشرع ائماً هو تعليم العلم الحق والعمل الحق والعلم الحق هو معرفة الله تعالى وساير الموجودات على ما هي عليه وبخاصة الشريعة منها ومعرفة السعادة

الاخروية والشقاء الاخروي والعمل الحق هو امتنال الافعال التي تفيد السعادة وتجنب الافعال التي تفيد الشقاء والمعرفة بهذه الافعال هو الذى يسمى العلم العملى وهذه تنقسم تسمين احدها افعال ظاهرة بدنية والعلم بهذه هو الذى يسمى الفقه والقسم الثاني افعال نفسانية مثل الشكر والصبر وغير ذلك من الاخلاف التى دعا اليها الشرع او نهى عنها والعلم بهذه هو الذى يسمى الزهد وعلوم الآخرة والى هذا نحا ابو حامد في كتابه ولما كان الناس قد اضرروا عن هذا الجنس وخاضوا في الجنس الثاني وكان هذا الجنس املك بالتقوى التي سبب السعادة سمى كتابه احياء علوم الدين وقد خر جنا عمما كنا بسبيله فنرجع فنقول لما كان مقصود الشرع تعليم العلم الحق والعمل الحق وكان التعليم صنفين تصوّراً وتصديقاً كما بين ذلك اهل العلم بالكلام وكانت طرق التصديق الموجدة للناس ثلاثة البرهانية والجدلية والخطبية وطرق التصور اثنتين اما الشي نفسه واما مثاله وكان الناس كلهم ليس في طباعهم ان يقبلوا البراهين ولا اقاويل الجدلية فضلا عن البرهانية مع ما في تعليم الاقاويل البرهانية من العسر وال الحاجة في ذلك الى طول الزمان لمن هو اهل لتعلمها وكان الشرع ائما هو مقصوده تعليم الجميع وجوب ان يكون الشرع يشتمل على جميع اتجاه طرق التصديق واتجاه طرق التصور ولما كانت طرق التصديق منها ما هي عامة لاكثر الناس اعني وقوع التصديق من قبلها وهي الخطبية والجدلية والخطبية اعم من الجدلية ومنها ما هي خاصة ولاقل الناس وهي البرهانية وكان الشرع مقصوده الاول العناية بالاكثر من غير اغفال لتنبيه الخواص كانت اكثـر الطرق المـصرح بها في الشريعة هي الطرق المشتركة

للاكثر في وقوع التصور والتصديق وهذه الطرق هي في الشريعة على اربعة اصناف احدها ان تكون مع انها مشتركة خاصة في الامرين جميعا اعني ان تكون في التصور والتصديق يقينية مع انها خطبية او جدلية وهذه المقاييس هي المقاييس التي عرض لمقدماتها مع كونها مشهورة او مظنونة ان تكون يقينية وعرض لنتائجها ان اخذت انفسها دون مثالاتها وهذا الصنف من الاقاويل الشرعية ليس له تاويل والجاذد له او المتأول كافر والصنف الثاني ان تكون المقدمات مع كونها مشهورة او مظنونة يقينية وتكون النتائج مثالات لامر التي قصد انتاجها وهذا يتطرق اليه التأويل اعني لنتائجها والثالث عكس هذا وهو ان تكون النتائج هي الامور التي قصد انتاجها نفسها وتكون المقدمات مشهورة او مظنونة من غير ان يعرض لها ان تكون يقينية وهذا ايضا لا يتطرق اليه تاويل اعني لنتائجها وقد يتطرق لمقدماته والرابع ان يكون مقدماته مشهورة او مظنونة من غير ان يعرض لها ان تكون يقينية وتكون نتائجها مثالات لها قصد انتاجها وهذه فرض الخواص فيها التأويل وفرض الجمهور اماراتها على ظاهرها وبالجملة فكل ما يتطرق اليه من هذه تاويل لا يدرك الا بالبرهان ففرض الخواص فيه هو ذلك التأويل وفرض الجمهور هو حملها على ظاهرها في الوجهين جميعا اعني في التصور والتصديق اذ كان ليس في طباعهم اكثرا من ذلك وقد يعرض للنظر في الشريعة تاويلات من قبل تفاصيل الطرق المشتركة بعضها على بعض في التصديق اعني اذا كان دليلا التأويل اتم اقناعا من دليل الظاهر وامثال هذه التاويلات هي جمهورية ويمكن ان يكون فرض من بلغت قوام النظرية الى القوة الجدلية وفي هذا الجنس يدخل

بعض تأويلات الأشعرية والمعتزلة وان كانت المعتزلة في الاكثر اوثق اقوالاً واما الجمھور الذين لا يقدرون على اکثر من الاقوایل الخطبية ففرضھم امراھا على ظاهرها ولا يجوز ان يعلموا ذلك التأویل اصلًا فاذًا الناس على ثلاثة اصناف صنف ليس هو من اهل التأویل اصلًا وهم الخطبيون الذين هم الجمھور الغالب وذلك انه ليس يوجد احد سليم العقل يعرى من هذا النوع من التصديق وصنف هو من اهل التأویل الجدلي وهؤلاء هم الجدلیون بالطبع فقط او بالطبع والعادة وصنف هو من اهل التأویل اليقیني وهؤلاء هم البرهانیون بالطبع والصناعة اعنی صناعة الحکمة وهذا التأویل ليس ينبغي ان يصرح به لاعل الجدل فضلًا عن الجمھور ومنی صرخ بشی من هذه التأویلات لمن هو من غير اهلها وبخاصة التأویلات البرهانیة لبعدها عن المعرف المشتركة افضی ذلك بالمصرح له والمصرح الى الكفر والسبب في ذلك ان مقصوده ابطال الظاهر واثبات المؤول فاذا ابطل الظاهر عند من هو من اهل الظاهر ولم يثبت المؤول عنده اداه ذلك الى الكفر ان كان في اصول الشریعة فالتأویلات ليس ينبغي ان يصرخ بها للجمھور ولا تثبت في الكتب الخطبية او الجدلیة اعنی الكتب التي الاقوایل الموضوعة فيها من هذین الجنسيین كما صنع ذلك ابو حامد ولهذا يجب ان يصرخ ويقال في الظاهر الذي الاشكال في كونه ظاهراً بنفسه للجميع وكون معرفة تأویلة غير ممكن فيهم انه متشابه لا يعلمه الا الله وان الوقف يجب هنا في قوله عزوجل وما يعلم تأویله الا الله وبمثل هذا يأتی الجواب في السؤال عن الامور الفاضحة التي لا سبيل للجمھور الى فهمها مثل قوله تعالى ويسائلونك عن الروح قل الروح من امر ربی وما اوقیتم من العلم الا قليلاً واما

المصرِّح بهذه التأويلات لغير اهلها فكابر لمكان دعائة للناس الى الكفر وهو صد دعوى الشارع وبخاصة متى كانت تأويلاً فاسدة في اصول الشريعة كما عرض ذلك لقوم من اهل زماننا فانا قد شهدنا منهم اقواماً ظنوا انهم تفلسفوا وانهم قد ادركوا بحكمتهم العجيبة اشياء مخالفة للشرع من جميع الوجوه اعني لا تقبل تأويلاً وان الواجب هو التصریح بهذه الاشياء للجمهور فصاروا بتصریحهم للجمهور بتلك الاعتقادات الفاسدة سبباً لهلاك الجمهور وهلاكهم في الدنيا والآخرة ومثال مقصود هولاء مع مقصد الشاوع مثال من مقصود الى طبيب ماهر قصد حفظ صحة جميع الناس وازالة الامراض عنهم بان وضع لهم اقاويل مشتركة التصديق في وجوب استعمال الاشياء التي تحفظ صحتهم وتزيل امراضهم وتجتب اضدادها اذ لم يمكنه فيهم ان يصيّر جميعهم اطباء لأن الذي يعلم الاشياء الحافظة للعجة والمذيلة للمرض بالطرق البرهانية هو الطبيب فتصدى هذا الى الناس وقال لهم ان هذه الطرق التي وضع لكم هذا الطبيب ليست بحق وشرع في ابطالها حتى يطلى عندهم او قال ان لها تأويلاً فلم يفهموها ولا وقع لهم من قبلها تصدق في العمل افترى الناس الذين حالهم هذه الحال يفعلون شيئاً من الاشياء النافعة في العجة وازالة المرض او يقدر هذا المصرِّح لهم بابطال ما كانوا يعتقدون فيها ان يستعملها معهم اعني حفظ العجة لا بل ما يقدر هو على استعمالها معهم ولا هم يستعملونها فيشلهم الهلاك هذا ان صرَّح لهم بتأنويلاً صحيحة في تلك الاشياء لكونهم لا يفهمون ذلك التأويل فضلاً ان صرَّح لهم بتأنويلاً فاسدة لاتهم يُؤول بهم الامر ان لا يروا ان هاهنا صحة يجب ان تحفظ ولا مرضًا يجب ان يزال فضلاً عن

ان يروا ان هاعنا اشياء تحفظ العحة وتنزيل المرض وهذه هي حال من يصرح بالتأويل للجمهور ولمن ليس هو باهيل له مع الشرع ولذلك هو مفسد له وصاد عنه والصاد عن الشرع كافر واتنا كان هذا التمثيل يقينيا وليس بشعرى كما لقائل ان يقول لانه محظوظ التناصب وذلك ان نسبة الطبيب الى حجة الابدان نسبة الشارع الى حجة الانفس اعنى ان الطبيب هو الذى يتطلب ان يحفظ حجة الابدان اذا وجدت ويسترد لها اذا عدمت والشارع هو الذى يبتفعى هذا في حجة الانفس وهذه العحة هي المسماة تقوى وقد صرخ الكتاب العزيز بطلبيها بالافعال الشرعية في غير ما آية فقال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الدين من قبلكم لعلكم تتقون وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم وقال ان الصلة تنهى عن الفحشاء والمنكر الى غير ذلك من الآيات التي تضمنها الكتاب العزيز من هذا المعنى فالشارع ائما يتطلب بالعلم الشرعي او العمل الشرعي هذه العحة وهذه العحة هي التي تترقب عليها السعادة الاخراوية وعلى صدّها الشقاء الاخراوي فقد تبيّن لك من هذا انه ليس يجب ان تثبت التأويلات العجيبة في الكتب الجمهورية فضلاً عن الفاسدة والتأويل العجيج هي الامانة التي حملها الانسان فابي ان يحملها واسفق منها جميع الموجودات اعنى المذكورة في قوله تعالى اتنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية ومن قبل التأويلات والظنّ بانها يجب ان يصرح بها في الشرع نشأت فرق الاسلام حتى كفر بعضهم بعضاً وبذع بعضهم بعضاً وبخاصة الفاسدة منها فاولت المعتزلة آيات كثيرة واحاديث كثيرة وصرحوا بتاؤيلهم للجمهور وكذلك فعلت الاشعرية وان كانوا اقل

قاوِيًّا فاقعوا الناس من قبل ذلك في شنآن وقباغض وحروب ومقوا الشرع وفرقوا الناس كل التفريق وزاده إلى هذا كله أن طرقيهم التي سلكوها في اثبات قاوِيلاتهم ليسوا فيها لا مع الجمهور ولا مع الخواص لكونها إذا تؤملت فاقصة عن شرائط البرهان وذلك يقف عليه بادنى تأمل من عرف شرائط البرهان بل كثير من الاصول التي بنت عليها الاشعرية معارفها هي سوفسطانية فإنها تجحد كثيراً من الضروريات مثل ثبوت الاعراض وتأثير الاشياء بعضها في بعض وجود الاسباب الضرورية للمسيبات والصور الجوهرية والوسائل وقد تعدد نظائره في هذا المعنى على المسلمين أن فرقة من الاشعرية كفرت من ليس يعرف وجود الباري بالطرق التي وضعوها لمعرفتها في كتابهم وهم الكافرون والصالون بالحقيقة ومن هنا اختلفوا فقال قوم أول الواجبات النظر وقال قوم الایمان اعني من قبل انهم لم يعرفوا اي الطرق هي الطرق المشتركة للجميع التي دعا الشرع من ابوابها جميع الناس وظنوا ان ذلك طريق واحد فاختلطوا مقصد الشارع وضلوا واصلوا فان قيل نادا لم تكن هذه الطرق التي سلكها الاشعرية ولا غيرهم من اهل النظر هي الطرق المشتركة الى قصد الشارع لتعليم الجمهور بها وهي التي لا يمكن تعليمهم بغيرها فاي الطرق هي هذه الطرق في شربعتنا هذه قلنا هي الطرق التي ثبتت في الكتاب العزيز فقط فان الكتاب العزيز اذا تؤمل وجدت فيه الطرق الثلاث الموجودة لجميع الناس والطرق المشتركة لتعليم أكثر الناس والخاصة وإذا تؤمل الامر فيها ظهر انه ليس يلغى طرق مشتركة لتعليم الجمهور افضل من الطرق المذكورة فيه فمن حرفها بتأويل لا يكون ظاهراً بنفسه او اظهر منها للجميع وذلك شيء غير موجود فقد ابطل

حكمتها وابطل فعلها المقصود في افادة السعادة الانسانية وذلك ظاهر جدا من حال الصدر الاول وحال من اتى بعده فان الصدر الاول ائمها صار الى الفضيلة الكاملة والتقوى باستعمال هذه الاقاويل دون تأويلاً فيها ومن كان منهم وقف على تأويل لم يبر ان يصرّح به واتما من اتى بعده فانهم لما استعملوا التأويل قلّ تقوام وكثراً اختلافهم وارتقت حبّتهم وتفرّقوا فرقاً فيجيب على من اراد ان يرفع هذه البدعة عن الشريعة ان يعمد الى الكتاب العزيز فيلتقط منه الاستدللالات الموجودة في شيء شيء مما كلفنا اعتقاده ويجهد في نظره الى ظاهرها ما امكنه من غير ان يتأنّى من ذلك شيئاً الا اذا كان التأويل ظاهراً بنفسه اعني ظهوراً مشتركاً للجميع فان الاقاويل الموضوعة في الشرع لتعليم الناس اذا توّلت يشبة ان يبلغ من نصّرها الى حد لا يخرج عن ظاهر ما هو منها ليس على ظاهره الا من كان من اهل البرهان وهذه الخاصة ليست توجد لغيرها من الاقاويل فاداً الاقاويل الشرعية المتصرّحة بها في الكتاب العزيز للجميع لها ثلاثة خواص دلت على الاعجاز احداها انه لا يوجد اتم اقناعاً وتصديقاً للجميع منها والثانية انه تقبل النصرة بطبعها الى ان تنتهي الى حد لا يقف على التأويل فيها ان كانت مما فيها تأويل الا اهل البرهان والثالثة انها تنضيّن التنبيه لاهل الحق على التأويل الحق وهذا ليس يوجد لا في مذاهب الاعشرية ولا في مذاهب المعتزلة اعني ان تأويلاً لهم لا تقبل النصرة ولا تتضمن التنبيه على الحق ولا هي حق ولهذا كثرت البدع وبودنا لو تفرّغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه وان انساً الله في العمر فستثبت فيه قدر ما يسر لنا منه فعسى ان يكون ذلك مبدأً لمن ياتي بعد فان النفس من ما تخيل هذه

الشريعة من الاهواء الفاسدة والاعتقادات المحرّفة في غاية الحزن والتّألم وبخاصة ما عرض لها من ذلك من قبل من ينسب نفسه الى الحكمة فان الاذية من الصديق هي اشد من الاذية من العدو اعنى ان الحكمة هي صاحبة الشريعة والاخت الرضيّة فالاذية من ينسب اليها اشد الاذية مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة وهما المصطحبتان بالطبع المترافقتان بالجحود والغريزة وقد اذاها ايضا كثير من الاصدقاء الجهال ممّن ينسبون انفسهم اليها وهي الفرق الموجودة فيها والله يسدد الكل ويوقق الجميع لمحيته ويجمع تلوبهم على تقواه ويرفع عنهم البغض والشذوذ بفضلة ورحمته وقد رفع الله كثيرا من هذه الشرور والجهالات والمسالك المضلّات بهذا الامر الغالب وطرق به الى كثير من الخيرات وبخاصة على الصنف الذين سلكوا مسلك النظر ورغبوا في معرفة الحق وذلك انه دعا الجمّهور من معرفة الله الى طريق وسط ارتفع عن حضيض المقلّدين وانحطّ عن تشغيل المتكلّمين وتبه الخواص على وجوب النظر

التّأّم في اصل الشريعة

كامل

كتاب الكشف عن مناهج الادلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب

**التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضللة تصنيف الشيخ العلامة أبي
الوليد بن رشد**

قال الشيخ الخ أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن
رشد وبعد حمد الله الذى اختص من يشاء بحكمته ووفقاً لهم شريعته
وأتباع سنته واطلع من مكثون علمية ومفهوم وحية ومقصد رسالة نبوية الى
خلقه على ما استبان به عندم زيف الراثفين من اهل ملتة وتحريف
المبظليين من امتة وانكشف لهم ان من التأويل ما لم ياذن الله ورسوله
به وصلواته التامة على امين وحية وخاتم رسلاه وعلى آله واسرتة فانه لما
كنا قد بيّنا قبل هذا في قول افرادناه مطابقة الحكمة للشرع وامر الشريعة
بها وقلنا هناك ان الشريعة قسمان ظاهر ومؤول وان الظاهر منها فرض
الجمهور وان المؤول هو فرض العلماء واما الجمهور ففرضهم فيه حمله على
ظاهره وترك تأويله وانه لا يحل للعلماء ان يفجعوا بتأويله لجمهور كما قال
على رضى الله عنه حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله
ورسوله فقد رأيت ان اختص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي
قصد الشرع حمل الجمهور عليها ونتحرى في ذلك كلّه مقصود الشارع صلعم
بحسب الجهد والاستطاعة فان الناس قد اضطربوا في هذا المعنى كلّ
الاضطراب في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة كلّ
واحد منهم يرى انه على الشريعة الاولى وان من خالفة اما مبتدع واما كاف

مستباح الدم والمال وهذا كله عدول عن مقصد الشارع وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة وشهر هذه الطوائف في زماننا هذا أربعة الطائفة التي تسمى بالأشعرية وهم الذين يرى أكثر الناس اليوم أنهم أهل السنة والتي تسمى بالمعتزلة والطائفة التي تسمى بالباطنية والطائفة التي تسمى بالخشوية وكل هذه الطوائف قد اعتقدت في الله اعتقادات مختلفة وصرفت كثيراً من الفاظ الشرع عن ظاهرها إلى تأويلات نزلوها على تلك الاعتقادات وزعموا أنها الشريعة الأولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس وإن من زاغ عنها فهو أما كافر وأما مبتدع وإذا توهمت جميعها وتؤمن مقصد الشرع ظهر أن جلها أقاويل حديثة وتأويلات مبتدعة وأنا اذكر من ذلك ما يجري مجرى العقائد الواجبة في الشرع التي لا يتم الايمان إلا بها واتحرى في ذلك كله مقصد الشارع صلعم دون ما جعل أصلا في الشرع وعقيدة من عقائده من قبل التأويل الذي ليس بحريم وابتدىء من ذلك بتعریف ما قصد الشارع ان يعتقد الجم眾 في الله تبارك وتعالى والطرق التي سلك بهم في ذلك وذلك في الكتاب العزيز ونبذى من ذلك بمعرفة الطريق التي تفضي الى وجود الصانع اذ كانت اول معرفة يجب ان يعرفها المكلّف وقبل ذلك فينبغي ان نذكر اراء تلك الفرق المشهورة في ذلك فنقول اما الفرقة التي تدعى بالخشوية فادهم قالوا ان طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل اعني ان الايمان بوجوده الذي كلف الناس التصديق به يكفي فيه ان يتلقى من صاحب الشرع ويؤمن به ايماناً كما يتلقى منه احوال المعاد وغير ذلك مما لا مدخل فيه للعقل وهذه الفرقة الضالة الظاهر من امرها انها مقصورة عن مقصد الشرع في

الطريق التي نصبها للجميع مفضية الى معرفة وجود الله تعالى ودعاه من قبلها الى الاتخار به وذلك انة يظهر من غير ما آية من كتاب الله انة دعا الناس فيها الى التصديق بوجود الباري بادلة عقلية منصوص عليها فيها مثل قوله تبارك وتعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الآية ومثل قوله تعالى اف الله شَكَ فاطر السموات الى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى وليس لقائل ان يقول انة لو كان ذلك واجبا على كل من آمن بالله اعني لا يصح ايمانه الا من قبل وقوعه عن هذه الادلة لكان النبي صلعم لا يدعو احدا الى الاسلام الا عرض عليه هذه الادلة فان العرب كلها تعترف بوجود الباري سبحانه ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولا يمتنع ان يوجد من الناس من تبلغ به فدامة العقل وبلادة القربيۃ الى ان لا يفهم شيئا من الادلة الشرعية التي نصبها صلعم للجمهور وهذا فهو اقل الوجود فاذا وجد فرضه الایمان بالله من جهة السماع فهذه حال الحشویۃ مع ظاهر الشرع واما الاشعرية فانهم رأوا ان التصديق بوجود الله تبارك وتعالى لا يكون الا بالعقل لكن سلكوا في ذلك طرقا ليست هي الطرق الشرعية التي ثبتة الله عليها ودعا الناس الى الایمان به من قبلها وذلك ان طريقتهم المشهورة انبنت على بيان ان العالم حادث وابني عنده حدوث العالم على القول بتركيب الاجسام من اجزاء لا يتغيرا وان الجزء الذي لا يتغيرا حدث والاجسام محدثة بعده وطريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لا يتغيرا وهو الذي يسمونه الجوهرة الفردية طريقة معتاصمة تذهب على كثير من اهل الرياضة في صناعة الجدل فضلا عن الجمهور ومع ذلك فهى طريقة

غير برهانية ولا مفضية بيقين الى وجود الباري وذلك انه اذا فرضنا ان العالم حدث لزم كما يقولون ان يكون له ولا بد فاعل حدث ولكن يعرض في وجود هذا المحدث شك ليس في قوته صناعة الكلام الانفصال عنه وذلك ان هذا المحدث لسنا نقدر ان نجعله ازليا ولا حدثا اما كونه حدثا فلانه يفتقر الى محدث وذلك المحدث الى محدث ويبرر الامر الى غير نهاية وذلك مستحيل واما كونه ازليا فانه يجب ان يكون فعله المتعلق بالمفعولات ازليا فتكون المفعولات ازليه والحادث يجب ان يكون وجوده متعلقا بفعل حادث اللهم الا لو سلما انه يوجد فعل حادث عن فاعل قدیم فان المفعول لا بد ان يتعلق به فعل الفاعل وهم لا يسلمون ذلك فان من اصولهم ان المقارن للحوادث حادث وايضا ان كان الفاعل حينا يفعل وحيانا لا يفعل وجب ان تكون هنالك علة صيرفة باحدى الحالتين اولى منه بالاخري فيسئل ايضا في تلك العلة مثل هذا السؤال وفي علة العلة فيبرر الامر الى غير نهاية وما يقوله المتكلمون في جواب هذا من ان الفعل الحادث كان بارادة قدیمة ليس بمنج ولا مخلص من هذا الشك لأن الارادة غير الفعل المتعلق بالمفعول واذا كان المفعول حادثا فواجب ان يكون الفعل المتعلق بارادة حادثا وسواء فرضنا الارادة قدیمة او حدیثة متقدمة على الفعل او معه فكيف ما كان فقد يلزمهم اما ان يحيّزوا على القديم احد ثلاثة امور اما ارادة حادثة وفعل حادث واما فعل حادث وارادة قدیمة واما فعل قدیم وارادة قدیمة والحادث ليس يمكن ان يكون عن فعل قدیم بلا واسطة ان سلينا لهم انه يوجد عن ارادة قدیمة ووضع الارادة نفسها هي للفعل المتعلق بالمفعول شی لا يعقل وهو كفرض مفعول

بلا فاعل فانّ الفعل غير الفاعل وغير المفعول وغير الارادة والارادة هي شرط الفعل لا الفعل وايضاً فهذة الارادة القديمة يجب ان تتعلق بعدم الحادث دعراً لا نهاية له اذ كان الحادث معدوماً دعراً لا نهاية له فهي لا تتعلق بالمراد في الوقت الذي اقتضت ايجاده الا بعد انتفاء دهر لا نهاية له وما لا نهاية له لا ينقضى فيجب الا يخرج هذا المراد الى الفعل او ينقضى دهر لا نهاية له وذلك ممتنع وهذا هو بعينة برهان المتكلمين الذي اعتمدوا في حدوث دورات الفلك وايضاً فانّ الارادة التي تتقىد بالمراد وتتعلق به بوقت مخصوص لا بد ان يحدث فيها في وقت ايجاد المراد عزم على الاجاد لم يكن قبل ذلك الوقت لانه ان لم يكن في المريد في وقت الفعل حالة رائدة على ما كانت عليه في الوقت الذي اقتضت الارادة عدم الفعل لم يكن وجود ذلك الفعل عنده في ذلك الوقت اولى من عدمه الى ما في هذا كله من التشعيّب والشكوك العويصة التي لا يخلص منها العلماء البهرة بعلم الكلام والحكمة فضلاً عن العامة ولو كلف الجمّهور العلم من هذه الطرق لكان من باب تكليف ما لا يطاق وايضاً فانّ الطرق التي سلك هؤلاء القوم في حدوث العالم قد جمعت بين هذين . الوصفين معًا اعني انّ الجمّهور ليس في طباعهم قبولها ولا هي مع هذا برهانية فليس تصريح لا للعلماء ولا للجمّهور ونحن ننبه على ذلك بعض التنبية فنقول ان الطرق التي سلكوا في ذلك طريقان احدهما وهو الاشهر الذي اعتمد عليه عامتهم يبنى على ثلاث مقدمات هي بمنزلة الاصول لما يرثون انتاجه عنها من حدوث العالم احداها انّ الموارد لا تنفك من الاعراض اي لا تخلوا منها والثانية انّ الاعراض احداثه والثالثة انّ ما لا

ينفك عن الحوادث حادث اعنى ما لا يخلو من الحوادث هو حادث فاما المقدمة الاولى وهي القائلة ان الجواهر لا تتعرى من الاعراض فان عنوا بها الاجسام المشار اليها القائمة بذاتها نهى مقدمة حقيقة وان عنوا بالجواهر الجزء الذى لا ينقسم وهو الذى يريدونه بالجواهر الفرد ففيها شك ليس باليسير وذلك ان وجود جواهر غير منقسم ليس معروفاً بنفسه وفي وجوده اقاويل متضادة شديدة التعاند وليس في قوّة صناعة الكلام تخلص الحق منها وانما ذلك لصناعة البرهان واهل هذه الصناعة قليل جداً والدلائل التي تستعملها الشعرية في اثباته هي خطبية في الاكثر وذلك ان استدلالهم المشهور في ذلك هو انهم يقولون ان من المعلومات الاول ان الفيل مثلاً اتى نقول فيه انه اعظم من النملة من قبل زيادة اجزاء فيه على اجزاء النملة وادا كان ذلك كذلك فهو مؤلف من تلك الاجزاء وليس هو واحداً بسيطاً وادا فسد الجسم فاليها ينحل وادا تركب فمنها يتركب وهذا الغلط اتى دخل عليهم من شبه الكمية المنفصلة بالمتصلة فظنوا ان ما يلزم في المنفصلة يلزم في المتصلة وذلك ان هذا يصدق في العدد اعنى ان نقول ان عدداً اكبر من عدد من قبل كثرة الاجزاء الموجودة فيه اعنى الوحدات واما الكلم المتصل فليس يصدق ذلك فيه ولذلك نقول في الكلم المتصل انه اعظم واكبر ولا نقول انه اكبر واقل ونقول في العدد انه اكبر واقل ولا نقول اكبر واصغر وعلى هذا القول فتكون الاشياء كلها اعداداً ولا يمكن هنالك عظم متصل اصلاً فتكون صناعة الهندسة هي صناعة العدد بعينها ومن المعروف بنفسه ان كل عظم فاته ينقسم بنصفين اعنى الاعظام الثلاثة التي هي الخط والسطح والجسم وايضاً فان الكلم المتصل

هو الذى يمكن ان يعرض عليه في وسطه نهاية يلتقي عندها طرفا القسرين جميعا وليس يمكن ذلك في العدد لكن يعارض هذا ايضا ان الجسم وسائر اجزاء الکم المتصل يقبل الانقسام وكل منقسم فاما ان ينقسم الى شى منقسم او الى شى غير منقسم فان انقسام الى غير منقسم فقد وجدنا الجزء الذى لا ينقسم وان انقسام الى منقسم عاد السؤال ايضا في هذا المنقسم هل ينقسم الى منقسم او الى غير منقسم فان انقسام الى غير نهاية كانت في الشى المتناهى اجزاء لا نهاية لها ومن المعلومات الاول ان اجزاء المتناهى متناهية ومن الشكوك المعتادة التى تلزمهم ان يستلوا اذا حدث الجزء الذى لا يتجرأ ما القابل لنفس الحدوث فان الحدوث عرض من الاعراض واذا وجد الحادث فقد ارتفع الحدوث فان من اصولهم ان الاعراض لا تفارق الجواهر فيضطربون الامر الى ان يضعوا الحدوث من موجود ما ولم يوجد ما وايضا فقد يستلوا ان كان الموجود يكون من غير عدم فيما ذا يتعلق فعل الفاعل فانه ليس بين العدم والوجود وسط عندهم وان كان كذلك كذلك وكان فعل الفاعل لا يتعلق عندهم بالعدم ولا يتعلق بما وجد وفرغ من وجودة فقد ينبغي ان يتعلق بذات متوسطة بين العدم والوجود وهذا هو الذى اصرّ المعتزلة الى ان قالت ان في العدم ذاتا ما وهو لا ايضا يلزمهم ان يوجد ما ليس موجود بالفعل موجودا بالفعل وكلتا الطائفتين يقولوا بوجود الخلاه فهذه الشكوك كما ترى ليس في قوة صناعة الجدل حتىها فإذا يجب ان لا يجعل هذا مبدأ لمعرفة الله تبارك وتعالى وبخاصية للجمهور فان طريقة معرفة الله اوضح من هذه على ما سنبيّن من قولنا بعد واما المقدمة الثانية وهي القائلة ان جميع الاعراض حديثة .

فهي مقدمة مشكوك فيها وخفاء هذا المعنى فيها كفائه في الجسم وذلك اذا اتى شاهدنا بعض الاجسام حديثة وكذلك بعض الاعراض غلا غرق في النقلة من الشاهد في كليهما الى الغائب فان كان واجبا في الاعراض ان ينقل حكم الشاهد منها الى الغائب اعني ان تحكم بالحدث على ما لم نشاهد منها قياسا على ما شاهدناه فقد يجب ان يفعل ذلك في الاجسام ونستغنى عن الاستدلال بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وذلك ان الجسم السماوي وهو المشكوك في الحالة بالشاهد الشك في حدوث اعراضه كالشك في حدوثه نفسه لانه لم يحس حدوثه لا هو ولا اعراضه ولذلك ينبغي ان يجعل الشخص عنه من امر حركته وهي الطريق التي تفضي بالسالكين الى معرفة الله بيقين وهي طريق الخواص وهي التي خص الله به ابرهيم عليه السلام في قوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض ليكون من المؤمنين لأن الشك كلها اتى هو في الاجرام السماوية واكثر النظار انتبهوا اليها واعتقدوا انها آلهة وايضا فان الزمان من الاعراض ويعسر تصور حدوثه وذلك ان كل حادث فيجب ان يتقدمه العدم بالزمان فان تقدم عدم الشيء على الشيء لا يتصور الا من قبل الزمان وايضا فان المكان الذي يكون فيه العالم اذا كان كل من تكون بالمكان سابق له يعسر تصور حدوثه ايضا لانه ان كان خلأ على رأي من يرى ان الخلاء هو المكان يحتاج ان يتقدم حدوثه ان فرض حادثا خلأ آخر وان كان المكان نهاية الجسم المحاط بالمتkickن على الرأي الثاني لزم ان يكون ذلك الجسم في مكان فيحتاج الجسم الى جسم ويمر الامر الى غير نهاية وهذه كلها شكوك عوينة وادلةهم التي يلتمسون بها بيان ابطال قدم الاعراض اتى

هي لازمة لمن يقول بقدم ما يجتىء منها حادثاً اعني من يضع ان جميع الاعراض غير حادثة وذلك انهم يقولون ان الاعراض التي يظهر لحسناً انها حادثة ان لم تكن حادثة فاما ان تكون منتقلة من محل الى محل واما ان تكون كامنة في المحل الذي ظهرت فيه قبل ان تظهر ثم يبطلون هذين القسمين فيظنون انهم قد بيّنوا ان جميع الاعراض حادثة وانما بان من قولهم ان ما يظهر من الاعراض حادثا فهو حادث لا ما لا يظهر حدوثه ولا ما لا يشك في امره مثل الاعراض الموجودة في الاجرام للمساوية من حركاتها وشكلها وغير ذلك فتؤول ادلةتهم على حدوث جميع الاعراض الى قياس الشاهد على الغائب وهو دليل خطبي الا حيث النقلة معقولة بنفسها وذلك عند التيقن باستواء طبيعة الشاهد والغائب واما المقدمة الثالثة وهي القائلة ان ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث فهي مقدمة مشتركة الاسم وذلك انه يمكن ان تفهم على معنيين احدهما ما لا يخلو من جنس الحوادث ويخلو من آحادها والمعنى الثاني ما لا يخلو من واحد منها مخصوص مشار إليه كانك قلت ما لا يخلو عن هذا السواد المشار إليه فاما هذا المفهوم الثاني فهو صادق اعني ما لا يخلو عن عرض ما مشار إليه وذلك العرض حادث انه يجب ضرورة ان يكون الموضوع له حادثا لانه ان كان قد يمّا فقد خلا من ذلك العرض وقد كنا فرضناه لا يخلو هذا خلطاً لا يمكن واما المفهوم الأول وهو الذي يريدونه فليس يلزم عنه حدوث المحل اعني الذي لا يخلو من جنس الحوادث لانه يمكن ان يتصور المحل الواحد اعني الجسم تتبعاً عليه اعراض غير متناهية اما متضادة واما غير متضادة كانك قلت حركات لا نهاية لها كما يرى ذلك كثير من

القدماء في العالم انه يتكون واحد بعد اخر ولهذا لما شعر المتأخرون من المتكلمين بوعي هذه المقدمة راموا شدتها وتقويبتها بان يبنوا في زعمهم انه لا يمكن ان تتعاقب على محل واحد اعراض لا نهاية لها وذلك انهم زعموا انه يجب عن هذا الموضع ان لا يوجد منها في المحل عرض ما مشار اليه الا وقد وجدت قبله اعراض لا نهاية لها وذلك يؤدى الى امتناع الموجود منها اعني المشار اليه لانه يلزم الا يوجد الا بعد انتفاء ما لا نهاية له ولما كان ما لا نهاية له لا ينقضى وجوب الا يوجد هذا المشار اليه اعني المفروض موجوداً مثال ذلك ان الحركة الموجدة اليوم للجسم السماوى ان كان قد وجد قبلها حركات لا نهاية لها فقد كان يجب الا توجد ومثلوا ذلك ب الرجل قال لرجل لا اعطيك هذا الدينار حتى اعطيك قبله دنانير لا نهاية لها فليس يمكن ان يعطيه ذلك الدينار المشار اليه ابداً وهذا التمثيل ليس بحاجة لأن في هذا التمثيل وضع مبدأ ونهاية ووضع ما بينهما غير متناهٍ لأن قوله وقع في زمان محدود واعطاوه الدينار يقع ايضاً في زمن محدود فاشترط هو ان يعطيه الدينار في زمان يكون بينه وبين الزمان الذي تكلم فيه اذمنة لا نهاية لها وهي التي يعطيه فيها دنانير لا نهاية لها وذلك مستحيل فهذا التمثيل يبين من امره انه لا يشبه المسئلة الممثل بها واما قولهم ان ما يوجد بعد وجود اشياء لا نهاية لها لا يمكن وجوده فليس صادقاً في جميع الوجوه وذلك ان الاشياء التي بعضها قبل بعض توجد على خواص اما على جهة الدور واما على جهة الاستقامة فالتي توجد على جهة الدور الواجب فيها ان تكون غير متناهية الا ان يعرض عنها ما ينهيها مثال ذلك انه ان كان شروق فقد

كان غروب وان كان غروب فقد كان شروق فان كان شروق وكذلك ان كان غيم فقد كان بخار صاعد من الارض وان كان بخار صاعد من الارض فقد ابتلت الارض وان كان ابتلت الارض فقد كان مطر وان كان مطر فقد كان غيم فان كان غيم فقد كان غيم واما التي تكون على الاستقامة مثل كون الانسان من الانسان وذلك الانسان من انسان آخر فان هذا ان كان بالذات لم يصح ان يمر الى غير نهاية ولأنه اذا لم يوجد الاول من الاسباب لم يوجد الاخير وان كان ذلك بالعرض مثل ان يكون الانسان بالحقيقة عن فاعل آخر غير الانسان الذي هو الاب وهو المصور له ويكون الاب ائما منزلته منزلة الآلة من الصانع فليس يمتنع ان وجد ذلك الفاعل يفعل فعلا لا نهاية له ان يفعل بالآلات متبدلة اشخاصا لا نهاية لها وهذا كلها ليس يظهر في هذا الموضوع واما سقناه ليعرف ان ما تؤمن به القوم من هذه الاشياء انه برهان وليس برهانا ولا هو من الاقوائد التي تليق بالجمهور اعني البراهين البسيطة التي كلف الله بها الجميع من عبادة الايمان به فقد تبيّن لك من هذا ان هذه الطريقة ليست برهانية صناعية ولا شرعية واما الطريقة الثانية فهي التي استنبطها ابو المعالى في رسالته المعروفة بالنظامية ومبناها على مقدمتين احداهما ان العالم ي جميع ما فيه جائز ان يكون على مقابل ما هو عليه، حتى يكون من الجائز مثلا اصغر مما هو واكبر مما هو او بشكل اخر غير الشكل الذي هو عليه او عدد اجسامه غير العدد الذي هي عليه او تكون حركة كل متحرك منها الى جهة ضد الجهة التي يتحرك اليها حتى يمكن في المجر ان يتحرك الى فوق وفي النار الى اسفل وفي الحركة الشرقية ان تكون غربية وفي الغربية ان

تكون شرقية والمقدمة الثانية أن الجائز حدث وله حدث اي فاعل صيره باحدى الجائزين اولى منه بالآخر فاما المقدمة الاولى فهي خطبية وفي بادى الراى وهي اما في بعض اجزاء العالم ظاهر كذبها بنفسه مثل كون الانسان موجودا على خلقة غير هذه الخلقة التي هو عليها وفي بعضه الامر فيه مشكوك مثل كون الحركة الشرقية الغربية والغربية شرقية اذ كان ذلك ليس معروفا بنفسه اذ كان يمكن ان يكون لذلك علة غير بينة الوجود بنفسها او تكون من العلل الخفية على الانسان ويشبه ان يكون ما يعرض للانسان في اول الامر عند النظر في هذه الاشياء شبيها بما يعرض لمن ينظر في اجزاء المصنوعات من غير ان يكون من اهل تلك الصنائع وذلك ان الذي هذا شأنه قد سبق الى ظنه ان كل ما في تلك المصنوعات او جلها يمكن ان يكون بخلاف ما هو عليه ويوجد عن ذلك المصنوع ذلك الفعل بعيدة الذي صنع من اجله اعني غايته فلا يمكن في ذلك المصنوع عند هذا موضع حكمة واما الصانع والذي يشارك الصانع في شيء من علم ذلك فقد يرى ان الامر بضد ذلك وانه ليس في المصنوع الا شيء واجب ضروري او ليكون به المصنوع اتم وافضل ان لم يكن ضروريا فيه وهذا هو معنى الصناعة والظاهر ان المخلوقات شبيهة في هذا المعنى بالمصنوع فسبحان الخالق العظيم بهذه المقدمة من جهة انها خطبية قد تصلح لاقناع الجميع ومن جهة انها كاذبة ومبطلة لحكمة الصانع فليست تصلح لهم وانما صارت مبطلة لحكمة لأن الحكمة ليست شيئا أكثر من معرفة اسباب الشيء اذا لم تكن للشيء اسباب ضرورية تقتضي وجوده على الصفة التي هو بها ذلك النوع موجود فليس عاهنا معرفة يختص بها

الحكيم الخالق دون غيره كما انه لو لم تكن هاهنا اسباب ضروريّة في وجود الامور المصنوعة لم تكن هنالك صناعة أصلًا ولا حكمة تنسب إلى الصانع دون من ليس بصانع واى حكمة كانت تكون في الانسان لو كانت جميع انعالة واعماله يمكن ان تتأتى باى عضو اتفق او بغير عضو حتى يكون الابصار مثلاً يتاتى بالاذن كما يتاتى بالعين والشم بالعين كما يتاتى بالانف وهذا كلّه ابطال لحكمة وابطال للمعنى الذي سمى به نفسه حكيمًا تعالى وقدّست اسماؤه عن ذلك وقد نجد ابن سينا يذعن لهذه المقدمة بوجة ما وذلك انه يرى ان كل موجود ما سوى الفاعل فهو اذا اعتبر بذاته يمكن وجائز وان هذه الجائزات صنفان صنف هو جائز باعتبار فاعلة وصنف هو واجب باعتبار فاعلة يمكن باعتبار ذاته وان الواجب جميع الجهات هو الفاعل الاول وهذا قول في غاية السقوط وذلك ان الممكن في ذاته وفي جوهره ليس يمكن ان يعود ضروريًا من قبل فاعلة الا لو انقلبت طبيعة الممكن الى طبيعة الضروري فان قيل اتنا يعني بقوله ممكنا باعتبار ذاته اي انه متى تقام فاعلة ارتفع هو قلنا هذا الارتفاع هو مستحيل وليس هذا موضع الكلام مع هذا الرجل ولكن للمرء على الكلام معه في الاشياء التي لم تخر عها هذا الرجل استبعنا القول الى ذكره فلنرجع الى حيث كنا فنقول فاما القضية الثانية وهي القائلة ان الجائز حدث نهي مقدمة غير بيّنة بنفسها وقد اختلف فيها العلماء فاجاز افلاطون ان يكون شيء جائز ازلياً ومنعه ارسطو وهو مطلب عويص ولن تبين حقيقته الا لاهل صناعة البرهان وهم العلماء الذين خصمهم الله بعلمه وقرن شهادتهم في الكتاب العزيز بشهادته وشهادة ملائكته واما ابو

المعالى فانه رام ان يبيّن هذه المقدمة بمقدمات احدها ان الجائز لا بد له من مخصوص يجعله باحد الوصفين الجائزين اولى منه بالثانى والثانية ان هذا المخصوص لا يكون الا مریداً والثالثة ان الموجود عن الارادة هو حادث ثم بين ان الجائز يكون عن الارادة اي عن فاعل مرید من قبل ان كل فعل فاما ان يكون عن الطبيعة واما عن الارادة والطبيعة ليس يكون عنها احد الجائزين المماطلين اعني لا تفعل المماطل دون مماثله بل تفعلهما مثال ذلك ان السقمونيا ليس تجذب الصفراء التي في الجانب الایمن من البدن مثلاً دون التي في اليسير واما الارادة فهي التي تختص الشي دون مماثله ثم اضاف الى هذه ان العالم مماطل كونه في الموضوع الذى خلق فيه من الجر الذى خلق فيه يريد الخلاء لكونه في غير ذلك الموضوع من ذلك الخلاء فا نجم عن ذلك ان العالم خلق عن ارادة والمقدمة القائلة ان الارادة هي التي تخص احد المماطلين صحيحة والقائلة ان العالم في خلاء يحيط به كاذبة او غير بيّنة بنفسها ويلزم ايضا عن وضعيه هذا الخلاء امر شنيع عندهم وهو ان يكون قدیماً لانه ان كان محدثا احتاج الى خلاء واما المقدمة القائلة ان الارادة لا يكون عنها الا مراد حدث فذلك شى غير بيّن وذلك ان الارادة التي بالفعل فهى مع فعل المراد نفسه لان الارادة من المضائق وقد تبيّن انه اذا وجد احد المضائقين بالفعل وجد الآخر بالفعل مثل الاب والابن واذا وجد احدهما بالقوة وجد الآخر بالقوّة فان كانت الارادة التي بالفعل حادثة فالمراد ولا بد حادث بالفعل وان كانت الارادة التي بالفعل قدیمة فالمراد الذى بالفعل قدیم واما الارادة التي تنتقد المراد فهى الارادة التي بالقوّة اغنى

التي لم يخرج مرادها الى الفعل اذ لم يقترن بتلك الارادة الفعل الموجب لحدوث المراد ولذلك هو ببين انها اذا خرج مرادها انها على نحو من الوجود لم تكن عليه قبل خروج مرادها الى الفعل اذ كانت هي السبب في حدوث المراد بتوسيط الفعل فادأً لو وضع المتكلمون ان الارادة حادثة لوجب ان يكون المراد محدثاً ولا بد والظاهر من الشرع انه لم يتعمق هذا التعمق مع الجمهوه ولذلك لم يصرح لا بارادة قديمة ولا حادثة بل صرّح بما الاظهر منه ان الارادة موجودة موجودات حادثة وذلك في قوله تعالى اتى قولنا لشى اذا اردناه ان نقول له كن فيكون واتما كان ذلك كذلك لأن الجمهوه لا يفهمون موجودات حادثة عن ارادة قديمة بل الحق ان الشرع لم يصرح في الارادة لا بحدوث ولا بقدم تكون هذا من المتشابهات في حق الاكثر وليس بايدي المتكلمين برهان قطعي على استحالة قيام ارادة حادثة في موجود قديم لأن الاصل الذي يعولون عليه في نفي قيام الارادة بمحال قديم هو المقدمة التي بينتها وهي ان ما لا يخلو عن الحوادث حادث وسنبيّن هذا المعنى بياناً اتم عند القول في الارادة فقد تبيّن لك من هذا كله ان الطرق المشهورة للاشعرية في السلوك الى معرفة الله سبحانه ليست طرقاً نظرية يقينية ولا طرقاً شرعية يقينية وذلك ظاهر لمن تأمل اجناس الادلة المنبهة في الكتاب العزيز على المعنى اعني بمعرفة وجود الصانع وذلك ان الطرق الشرعية اذا توصلت وجدت في الاكثر قد جمعت وصفين احدهما ان تكون يقينية والثانى ان تكون بسيطة غير مركبة اعني قليلة المقدمات فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الاول واما الصوفية فطرقهم في النظر ليست طرقاً نظرية اعني

مركبة من مقدمات واقيسة واتما يزعمون ان المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شى يلقى في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية واقبالها بالفكرة على المطلوب ويحتاجون لتحقیح هذا بظواهر من الشرع كثيرة مثل قوله تعالى واقروا الله ويعلمكم الله ومثل قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهديتهم سبلنا ومثل قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا الى اشباء ذلك كثيرة يظن انها عاصدة لهذا المعنى ونحن نقول ان هذه الطريقة وان سلمنا وجودها بأنها ليست عامة للناس بما هم ناس ولو كانت هذه الطريقة هي المقصودة بالناس لبطلت طريقة النظر ولكن وجودها بالناس عبئا والقرآن كلة انتما هو دعاء الى النظر والاعتبار وتنبيه على طرق النظر نعم لسنا ننكر ان تكون اماتة الشهوات شرطا في صحة النظر مثلا تكون العحة شرطا في ذلك لا ان اماتة الشهوات هي التي تفيض المعرفة بذاتها وان كانت شرطا فيها كما ان العحة شرط في التعلم وان كانت ليست مفيدة له ومن هذه الجهة دعا الشرع الى هذه الطريقة وحث عليها في جملتها حتى على العمل لا انها كافية بنفسها كما ظن القوم بل ان كانت نافعة في النظرية فعلى الوجه الذي قلنا وهذا بين عند من انصف واعتبر الامر بنفسه واما المعتزلة فانه لم يصل اليها في هذه الجزيرة من كتبهم شى نقف منه على طرقوهم التي سلكوها في هذا المعنى ويشبه ان تكون طرقوهم من جنس طرق الاشعرية فان قيل فاذا قد تبيّن ان هذه الطرق كلها ليست واحدة منها هي الطريقة الشرعية التي دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطروهم الى الاقرار بوجود الباري سبحانه فما هي الطريقة الشرعية التي نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدتها العحابة رضوان

اجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً أن هاهنا موجوداً للحياة ومنعماً لها وهو الله تبارك وتعالى وأما السموات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما هاهنا ومسخرة لنا والمنسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فعله مخترع فيضع من هذين الأصلين أن للموجود فاعلاً مخترعاً له وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات ولذلك كان وجباً على من أراد معرفة الله حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لأن من لم يعرفحقيقة الشيء لم يعرفحقيقة الاختراع والى هذا الاشارة بقوله تعالى اولم ينظروا في ملائكة السموات والارض وما خلق الله من شيء وكذلك ايضاً من تتبع معنى الحكمة في موجود موجود اعني معرفة السبب الذي من اجله خُلق والغاية المقصودة به كان وقوفه على دليل العناية اتم فهذا الدليلان هما دليلاً الشرع وأما ان الآيات المنبهة على الادلة المفضية الى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي منحصرة في هذين الجنسين من الادلة فذلك يبيّن لمن تأمل الآيات الواردۃ في الكتاب العزيز في هذا المعنى وذلك ان الآيات التي في الكتاب العزيز في هذا المعنى اذا تصفحت وجدت على ثلاثة انواع اما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية وأما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع وأما آيات تجمع الامرین من الدلالة چيئراً فاما الآيات التي تتضمن دلالة العناية فقط فمثل قوله تعالى الم يجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً الى قوله وجنات الفافاً ومثل قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ومثل قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية ومثل هذا كثير في

القرآن واما الآيات التي تتضمن دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى فلينظر
الانسان مت خلق خلق من ماء دافق ومثل قوله تعالى افلا ينظرون الى
الابل كيف خلقت الآية ومثل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ومن
هذا قوله تعالى حكاية عن قول ابراهيم انى وجهت وجهي للذى فطر
السموات والارض الى غير ذلك من الآيات التي لا تخصى واما الآيات التي
تجمع الدلالتين فهى كثيرة ايضا بل هي الاكثر مثل قوله تعالى يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الى قوله فلا تجعلوا
للله اندادا وانتم تعلمون فان قوله الذى خلقكم والذين من قبلكم تنبيه
على دلالة الاختراع وقوله الذى جعل الارض فراشا والسماء بناء تنبيه على
دلالة العناية ومثل هذا قوله تعالى وآية لهم الارض البيئة احييناها واخر جنا
منها حبأ فمنه يأكلون وقوله تعالى الذين يتفكرون في خلق السموات
والارض ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطل سبحانك فقنا عذاب النار واكثر
الآيات الواردة في هذا المعنى يوجد فيها النوعان من الدلالة فهذه الطريق
هي الصراط المستقيم التي دعا الله الناس منها إلى معرفة وجوده وتبّعهم
على ذلك بما جعل في فطريتهم من ادراك هذا المعنى وإلى هذه الفطرة الاولى
المفروضة في طباع البشر الاشارة بقوله تعالى اذا اخذ ربكم من بني آدم
من ظهورهم ذرّيتهم الى قوله قالوا بل شهدنا ولهذا قد يجب على من كان
وكده طاعة الله في الإيمان به وامتثال ما جاءت به رسالته ان يسلك هذه
الطريقة حتى يكون من العلماء الذين يشهدون لله بالربوبية مع شهادته
لنفسه وشهادة ملائكته له كما قال تبارك وتعالى شهد الله انه لا إله إلا

هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا الله الا هو العزيز الحكيم ومن دلالات الموجودات من هاتين المجهتتين عليه هو التسبیح الشار اليه في قوله تبارك وتعالى وان من شی الا يسمی بحمدہ ولكن لا يفهمن تسبیحهم فقد بان من هذه الادلة ان الدلالة على وجود الصانع مخصرة في هذين الجنسيين دلالة العناية ودلالة الاختراع وتبين ان هاتين الطريقتين هما باعيانهما طریقة الخواص واعنى بالخواص العلماء وطیرقة الجمهور وانما الاختلاف بين المعرفتين فی التفصیل اعنی ان الجمهور يقتصرن من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالتعرف الاولى المبنية على علم الحس واما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الاشياء بالحس ما يدرك بالبرهان اعنی من العناية والاختراع حتى لقدر قال بعض العلماء ان الذى ادركه العلماء من معرفة اعضاء الانسان والحيوان هو قریب من كذا وكذا آلاف منفعة واذا كان هذا هكذا فهذه الطیرقة هي الطیرقة الشرعیة والطبيعيۃ وهي التي جامت بها الرسل ونزلت بها الكتب والعلماء ليس يفضلون الجمهور في هذين الاستدلالین من قبل الكثرة فقط بل ومن قبل التعمق في معرفة الشی الواحد نفسه فان مثال الجمهور في النظر الى الموجودات مثالهم في النظر الى المصنوعات التي ليس عندهم علم بصنعتها فانهم انما يعروفون من امرها انها مصنوعات فقط وان لها صانعا موجوداً ومثال العلماء في ذلك مثال من نظر الى المصنوعات التي عنده علم ببعض صنعتها وبوجه الحکمة فيها ولا شك ان من حالة من العلم بالمصنوعات هذه الحال فهو اعلم بالصانع من جهة ما هو صانع من الذى لا يعرف من تلك المصنوعات الا انها مصنوعة فقط واما مثال الدهریۃ في هذا الذين

جحدوا الصانع سبحانه فمثال من احسن مصنوعات فلم يعترف انها مصنوعات بل ينسب ما راي فيها من الصنعة الى الاتفاق والامر الذي يحدث من ذاته

القول في الوحدانية

فإن قيل فان كانت هذه الطريقة هي الطريقة الشرعية في معرفة وجود الخالق سبحانه فما طريق وحدانيته الشرعية ايضا وهي معرفة أنه لا إله إلا هو فان هذا النفي هو معنى رأيده على الإيجاب التي تضمنت هذه الكلمة والإيجاب قد ثبت في القول المتقدم فيما يتطلب بثبوت النفي قلنا أبداً نفي الألوهية عن سواه فان طريق الشرع في ذلك الطريق التي نص عليها الله تعالى في كتابه العزيز وذلك في ثلاثة آيات أحدها قوله تعالى لو كان فيهما آلة إلا الله لفسدتا والثانية قوله تعالى ما أخذ الله من ولد وما كان معاً من الله اذاً لذهب كل الله بما خلق ولعنة بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون والثالثة قوله تعالى قد لو كان معاً آلة كما تقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً فاما الآية الاولى فدلالتها مغروزة في الفطر بالطبع وذلك انه من المعلوم بنفسه انه اذا كان ملكان كل واحد منها فعله فعل صاحبها انه ليس يمكن ان يكون عن تدبيرهما مدينة واحدة لانه ليس يكون عن فاعلين من نوع واحد فعل واحد فيجب ضرورة ان فعله معاً ان تفسد المدينة الواحدة الا ان يكون احدهما يفعل وينهى الآخر عطلاً وذلك منتف في صفة الآلة فانه متى اجتمع فعلان من نوع واحد على محل واحد فسد المحل ضرورة هذا معنى قوله سبحانه لو كان فيهما آلة إلا الله لفسدتا واما قوله اذاً لذهب كل الله بما

خلق فهذا رد منه على من يضع آلهة كثيرة مختلفة الافعال وذلك انه يلزم في الآلهة المختلفة الافعال التي لا يكون بعضها مطيناً لبعض ان لا يكون عنها موجود واحد ولما كان العالم واحداً وجباً الا يكون موجوداً عن آلهة متعددة الافعال واما قوله تعالى قد لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لا ينفعوا الى ذي العرش سبيلاً فهي كالآية الاولى اعني انه برهان على امتناع الالهين فعلهما واحد ومعنى هذه الآية انه لو كان فيهما آلة قادرة على ايجاد العالم وخلقه غير الله الموجود حتى تكون نسبة من هذا العالم نسبة الخالق له لوجب ان يكون على العرش معه فكان يوجد موجودان متماثلان ينسبان الى محل واحد نسبة واحدة فان المثلين لا ينسبان الى محل واحد نسبة واحدة لانه اذا اتحدت النسبة اتحد المنسوب اعني لا يجتمعان في النسبة الى محل واحد كما لا يجتمعان في محل واحد اذا كانا معاً شأنهما ان يقوما بال محل وان كان الامر في نسبة الله الى العرش ضد هذه النسبة اعني ان العرش يقوم به لا انه يقوم بالعرش ولذلك قال الله وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما فهذا هو الدليل الذي بالطبع والشرع في معرفة الوحدانية وانما الفرق بين العلماء والجمهور في هذا الدليل ان العلماء يعلمون من ايجاد العالم وكون اجزائه بعضها من اجل بعض بمنزلة الجسد الواحد اكثر مما يعلمه الجمهور من ذلك ولهذا المعنى الاشارة بقوله تعالى في آخر الآية سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا يفهون تسبيحهم انه كان حلينا غفوراً واما ما تتكلف الاشعرية من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية وهو الذي يسمونه دليلاً الممانعة

فشي ليس يجري مجرى الادلة الطبيعية والشرعية اما كونه ليس يجري مجرى الطبيع فلان ما يقولون في ذلك ليس برهاناً واما كونه لا يجري مجرى الشرع فلان الجمهور لا يقدرون على فهم ما يقولون من ذلك فضلاً عن ان يقع لهم به اقناع وذلك انهم قالوا لو كانا اثنين باكثر لجاز ان يختلفا و اذا اختلفا لم يخل ذلك من ثلاثة اقسام لا رابع لها اما ان يتم مرادهما جميعاً واما الا يتم مراد واحد منها واما ان يتم مراد احدهما ولا يتم مراد الآخر قالوا ويستحيل الا يتم مراد واحد منها لانه لو كان الامر كذلك لكان العالم لا موجوداً ولا معدوماً ويستحيل ان يتم مرادهما معاً لانه كان يكون العالم موجوداً معدوماً فلم يبق الا ان يتم مراد الواحد ويبطل مراد الآخر فالذى بطلت ارادته عاجز والعاجز ليس بالا ووجه الضعف في هذا الدليل انه كما يجوز في العقل ان يختلفا قياساً على المریدين في الشاهد يجوز ان يتتفقا وهو اليق بـالآلهة من الخلاف و اذا اتفقا على صناعة العالم كانا مثل صانعين اتفقا على صنع مصنوع و اذا كان هذا هكذا فلا بد ان يقال ان افعالهما ولو اتفقا كانت تتعاون لورودها على محل واحد الا ان يقول قائل غلعل هذا يفعل بعضاً والآخر بعضاً ولعلهما يفعلان على المداولة الا ان هذا التشكيك لا يليق بالجمهور والجواب في هذا لمن يشكك من الجدلتين في هذا المعنى ان يقال ان الذى يقدر على اختراع البعض يقدر على اختراع الكل فيعود الامر الى قدرتهما على كل شيء فاما ان يتتفقا واما ان يختلفا وكيف ما كان تعاون الفعل واما التداول فهو نقص في حق كل واحد منها والاشبه ان لو كانا اثنين ان يكون العالم اثنين فإذا العالم واحد فالفاعل واحد فان الفعل الواحد انتما يوجد عن واحد فإذا

ليس ينبغي أن يفهم من قوله تعالى ولعل بعضهم على بعض من جهة اختلاف الانفعال فقط بل ومن جهة اتفاقهما فأن الانفعال المتفقة تتعاون في ورودها على المحل الواحد كما تتعاون الانفعال المختلفة وهذا هو الفرق بين ما فهمناه نحن من الآية وما فهمة المتكلمون وإن كان قد يوجد في كلام أبي المعالى اشارة إلى هذا الذي قلناه وقد يدلّك على أن الدليل الذي فهمه المتكلمون من الآية ليس هو الدليل الذي تضمنته الآية أن المحال الذي أفضى إليه دليلهم غير المحال الذي أفضى إليه الدليل المذكور في الآية وذلك المحال الذي أفضى إليه الدليل الذي زعموا أنه دليل الآية هو أكثر من حال واحد إذ قسموا الأمر إلى ثلاثة أقسام وليس في الآية تقسيم فدليلهم الذي استعملوه هو الذي يعرفه أهل المنطق بالقياس الشرطى المنفصل ويعرفونه هم في صناعتهم بدليل السبر والتقسيم والدليل الذي في الآية هو الذي يعرف في صناعة المنطق بالشرطى المتصل وهو غير المنفصل ومن نظر في تلك الصناعة ادفني نظر تبيّن له الفرق بين الدليلين وأيضاً فأن المحالات التي أفضى إليها دليلهم غير المحال الذي أفضى إليه دليل الكتاب وذلك أن المحال الذي أفضى إليه دليلهم هو أن يكون العالم أاما لا موجوداً ولا معدوماً وأاما أن يكون موجوداً معدوماً وأاما أن يكون الله عاجزاً مغلوباً وهذه مستحبيلات دائمة الاستحالة أكثر من واحد والمحال الذي أفضى إليه دليل الكتاب ليس مستحبيلاً على الدوام وأنما علقت الاستحالة فيه في وقت مخصوص وهو أن يوجد العالم فاسداً في وقت الوجود فكانه قال لو كان فيهما آلة إلا الله لوجد العالم فاسداً في الآن ثم استثنى أنه غير فاسد فواجب الا يكون هنالك الا الله

المحدث في وقت حدوثه بعلم قديم بأنه يلزم عن هذا أن يكون العلم بالمحادث في وقت عدمه وفي وقت وجوده علمًا واحدًا وهذا أمر غير معقول إذ كان العلم واجبًا أن يكون تابعًا للموجود ولنَا كان الموجود ثانية يوجد فعلاً وثانية يوجد فتة وجب أن يكون العلم بالموجودين مختلفاً إذ كان وقت وجوده بالفترة غير وقت وجوده بالفعل وهذا شيء لم يصرح به الشرع بل الذي صرّح به خلافه وهو أنه يعلم المحادثات حين حدوثها كما قال تعالى وما تسقط من ورقة إلا يعلمه ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين فينبغى أن يوضع في الشرع أنه عالم بالشيء قبل أن يكون على أنه سيكون عالم بالشيء إذا كان على أنه قد كان عالم بما قد تلف أنه تلف في وقت تلفه وهذا هو الذي تقتضيه أصول الشرع وإنما كان هذا هكذا لأنّ الجمهور لا يفهمون من العالم في الشاهد غير هذا المعنى وليس عند المتكلمين برهان يوجب أن يكون بغير هذه الصفة إلا أنّهم يقولون أن العلم المتغير بتنغير الموجودات هو حديث ولباقي سبحانه لا يقوم به حادث لأن ما لا ينفك عن الحوادث زعموا حادث وقد بيّنا نحن كذب هذه المقدمة فإذا الواجب أن تقرّ هذه القاعدة على ما وردت ولا يقال أنه يعلم حدوث المحادثات ونساد الفاسدات لا بعلم حديث ولا بعلم قديم فإنّ هذه بدعة في الإسلام وما كان ربكم نسياناً وأمّا صفة الحياة فظاهر وجودها من صفة العلم وذلك أنه يظهر في الشاهد أن من شرط العلم الحياة والشرط عند المتكلمين يجب أن ينتقل فيه الحكم من الشاهد إلى الغائب وما قالوه في ذلك صواب وأمّا صفة الإرادة فظاهر اقصاصه بها إذ كان من شرط صدور الشيء عن الفاعل العالم أن يكون مريداً له وكذلك

واسطة لفظ يخلقه بل بانكشاف ذلك المعنى له بفعل يفعله في نفس المخاطب كما قال تبارك وتعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبدة ما اوحى ومن وراء حجاب هو الكلام الذي يكون بواسطه الفاظ يخلقها في نفس الذي اصطفاه بكلامه وهذا هو كلام حقيقي وهو الذي خص الله به موسى ولذلك قال تعالى وكلم الله موسى تكليلياً واما قوله او يرسل رسول فهذا هو القسم الثالث وهو الذي يكون منه بواسطه الملك وقد يكون من كلام الله ما يلقيه الى العلماء الذين هم ورثة الانبياء بواسطه البراهين وبهذه الجهة مع عذ العلماء ان القرآن كلام الله فقد تبيّن لك ان القرآن الذي هو كلام الله قديم وان اللفظ الدال عليه مخلوق له سبحانه لا يبشر وبهذا باين لفظ القرآن الالفاظ التي ينطق بها في غير القرآن اعني ان هذه الالفاظ هي فعل لنا باذن الله والفاظ القرآن هي خلق الله ومن لم يفهم هذا على هذا الوجه لم يفهم هذه الصورة ولا يفهم كيف يقال في القرآن انه كلام الله واما الحروف التي في المصحف فانما هي من صنعنا باذن الله واما وجب لها التعظيم لانها دالة على اللفظ المخلوق لله وعلى المعنى الذي ليس بمخلوق ومن نظر الى اللفظ دون المعنى اعني لم يفصل الامر قال ان القرآن مخلوق ومن نظر الى المعنى الذي يدل عليه اللفظ قال انه غير مخلوق والحق هو الجميع بينهما والاشورية فقد نفوا ان يكون المتكلّم فاعلاً للكلام لأنهم تخيلوا انهم اذا سلّموا هذا الاصل وجب ان يعترضوا ان الله قادر لكلامه ولما اعتقادوا ان المتكلّم هو الذي يقول الكلام بذاته ظنوا انهم يلزمهم عن هذين الاصليين ان يكون الله فاعلاً للكلام بذاته ف تكون ذاته حلاً لحوادث فقالوا المتكلّم ليس فاعلاً للكلام

القدر ممّا يوصف به الله سبحانه ويسّمى به هو القدر الذي نصّ الشرع ان يعلمه الجمهور لا غير ذلك .. ومن البدع التي حدثت في هذا الباب السؤال عن هذه الصفات هل هي الذات ام زائدة على الذات اي هل هي صفة نفسية او صفة معنوية واعنى بالنفسية التي توصف بها الذات لنفسها لا لقيام معنى فيها زائد على الذات مثل قولنا واحد وقديم والمعنوية التي توصف بها الذات لمعنى قائم فيها فان الاشعرية يقولون ان هذه الصفات هي صفات معنوية وهي صفات زائدة على الذات فيقولون انه عالم بعلم زائد على ذاته وهي بحياة زائدة على ذاته كحال الشاهد ويلزّمهم على هذا ان يكون الخالق جسماً لانه يكون هنالك صفة وموصوف وحامل ومحمل وهذه هي حال الجسم وذلك ان الذات لا بد ان يقولوا انها قائمة بذاتها والصفات قائمة بها او يقولوا ان كل واحد منها قائم بنفسه فالالله كثيرة وهذا قول النصارى الذين زعموا ان الاقانيم ثلاثة اقانيم الوجود والحياة والعلم وقد قال تعالى في هذا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وان قالوا احدهما قائم بذاته والآخر قائم بالقائم بذاته فقد اوجبوا ان يكون جوهراً وعرضوا لأن الجوهر هو القائم بذاته والعرض هو القائم بغيره والمولف من جوهر وعرض جسم ضرورة وكذلك قول المعتزلة في هذا الجواب ان الذات والصفات شيء واحد هو امر بعيد من المعرف الاول بل يظن أن مضاد لها وذلك انه يظن ان من المعرف الاول ان العلم يجب ان يكون غير العالم وانه ليس يجوز ان يكون العلم هو العالم الا لو جاز ان يكون احد المضادين قرينة مثل ان يكون الاب والابن معنى واحداً بعينه فهذا تعليم بعيد عن افهم الجمهور والتصريح به بدعة وهو ان يضلّل الجمهور

آخرى منه ان يرشدكم وليس عند المعتزلة برهان على وجوب هذا في الاول سبحانة اذ ليس عندهم برهان ولا عند المتكلمين على نفي الجسمية عنده اذ نفي الجسمية عندهم عنده انبني على وجوب المحدث للجسم بما هو جسم وقد بيّنا في صدر هذا الكتاب انة ليس عندهم برهان على ذلك وان الذين عندهم برهان على ذلك هم العلماء ومن هذا الموضع زل النصارى وذلك ائمهم اعتقدوا كثرة الاوصاف واعتقدوا انها جواهر لا قائمة بغيرها بل قائمة بنفسها كالذات واعتقدوا ان الصفات التي بهذه الصفة هما صفتان العلم والحياة قالوا فالله واحد من جهة ثلاثة من جهة يريدون انة ثلاثة من جهة انة موجود وحيٌ وعالم وهو واحد من جهة ان مجموعها شيء واحد فهنا ثلاثة مذاهب مذهب من رأى انها نفس الذات ولا كثرة هنالك ومذهب من رأى الكثرة وهؤلاء قسمان منهم من جعل الكثرة قائمة بذاتها ومنهم من جعلها كثرة قائمة بغيرها وهذا كله بعيد عن مقصد الشرع واذا كان هذا هكذا فاذًا الذي ينبغي ان يعلم الجمهور من امر هذه الصفات هو ما صرّح به الشرع فقط وهو الاعتراف بوجودها دون تفصيل الامر فيها هذا التفصيل فانه ليس يمكن ان يحصل عند الجمهور في هذا يقين اصلاً واعنى هاهنا بالجمهور كل من لم يعن بالصنائع البرهانية وسواء كان قد حصلت له صناعة الكلام او لم تحصل له فانه ليس في قوة صناعة الكلام الوقوف على هذا القدر من المعرفة اذ اغنى مراتب صناعة الكلام ان يكون حكمة جدلية لا برهانية وليس في قوة صناعة الجدل الوقوف على الحق في هذا فقد تبيّن من هذا القول القدر الذي صرّح به للجمهور من المعرفة في هذا والطرق التي سلكت بهم في ذلك

الفصل الرابع في معرفة التنزية

وإذ قد تقرر من هذه المناهج التي سلكها الشرع في تعليم الناس أولاً وجود الخالق سبحانه والطرق التي سلكها في نفي الشريك عنه ثانياً والتي سلكها ثالثاً في معرفة صفاتة والقدر الذي صرّح به من ذلك في جنس جنس من هذه الاجناس وهو القدر الذي زيد فيه أو نقص أو حرف أو أول لم تحصل به السعادة المشتركة للجميع فقد بقى علينا أن نعرف أيضاً الطرق التي سلكها بالناس في تنزيه الخالق سبحانه عن الناقص ومقدار ما صرّح به من ذلك والسبب الذي من قبله اقتصر بهم على ذلك المقدار ثم ذكر بعد ذلك الطرق التي سلك بالناس في معرفة افعاله والقدر الذي سلك بهم من ذلك فإذا تم لنا هذا فقد استوفينا غرضنا الذي قصدناه فنقول أمّا معرفة هذا الجنس الذي هو التنزية والتقدیس فقد صرّح به أيضاً غير ما آتى من الكتاب العزيز وابينها في ذلك واتّمها قوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله ألم يخلق كمن لا يخلق هي برهان قوله تعالى ليس كمثله شيء وذلك أنه من المفروض في فطر الجميع أنَّ الخالق يجب أن يكون أمّا على غير صفة الذي لا يخلق شيئاً أو على صفة غير شبيهة بصفة الذي لا يخلق شيئاً ولا كان من يخلق ليس بخالق فإذا أضيف إلى هذا الأصل أنَّ المخلوق ليس بخالق لزم عن ذلك أن تكون صفات المخلوق أمّا منافية عن الخالق وأمّا موجودة في الخالق على غير الجهة التي هي عليها في المخلوق وإنما قلنا على غير الجهة لأنَّ من الصفات التي في الخالق صفات استدللنا على وجودها بالصفات التي في

اشرف المخلوقات هاهنا وهو الانسان مثل اثبات العلم له والحياة والقدرة والارادة وغير ذلك وهذا هو معنى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته واذا تقرر ان الشرع قد صرخ بنفي المماطلة بين الخالق والمخلوق وصرح بالبرهان الموجب لذلك وكان نفي المماطلة يفهم منه شيان احدهما ان يعدم الخالق كثيراً من صفات المخلوق الثاني ان توجد فيه صفات للمخلوق على جهة اتم وافضل بما لا يتناهى في العقل فلينظر فيما صرخ به الشرع من هذين الصنفين وسكت عنه وما السبب الحكيم في سكته فنقول اما ما صرخ الشرع به من نفي صفات المخلوق عنه فما كان ظاهراً من امرة انه من صفات الناقص فمنها الموت كما قال تبارك وتعالى وتوكل على الحق الذي لا يموت ومنها النوم وما دونه مما يقتضي الغفلة والسهو عن الادراكات والحفظ للموجودات وذلك صرخ به في قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم ومنها النسيان والخطأ كما قال تعالى علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى والوقوف على انتفاء هذه الناقص هو قريب من العلم الضروري وذلك ان ما كان قريباً من هذه من العلم الضروري فهو الذي صرخ الشرع بنفيه عنه سبحانه واما ما كان بعيداً من المعرف الاول الضروري فانما نبة عليه بان عرف انه من علم الاقل من الناس كما قال تعالى في غير ما آية من الكتاب ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل قوله تعالى خلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون ومثل قوله تعالى فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القائم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فان قيل فما الدليل على نفي هذه الناقص عن اعني الدليل

الشرعى قلنا الدليل عليه ما يظهر من ان الموجودات محفوظة لا يخللها اختلال ولا فساد ولو كان الخالق تدركه غفلة او خطأ او نسيان او سهو لاختلت الموجودات وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى في غير ما آية من كتابه فقال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولشن زالتا ان امسكهما من احد من بعده الآية وقال تعالى ولا يؤدّه حفظهما وهو العلي العظيم فان تيّل فما تقول في صفة الجسمية هل هي من الصفات التي صرّح الشرع بنفيها عن الخالق او هي من المسكوت عنها فنقول انه من البين من امر الشرع انها من الصفات المسكوت عنها وهي الى التصریح باثباتها في الشرع اقرب منها الى نفيها وذلك ان الشرع قد صرّح بالوجه والميدین في غير ما آية من الكتاب العزيز وهذه الآيات قد تومّ ان الجسمية هي له من الصفات التي فضل فيها الخالق المخلوق كما فضله في صفة القدرة والإرادة وغير ذلك من الصفات التي هي مشتركة بين الخالق والمخلوق الا انها في الخالق اتم وجوداً ولهذا صار كثیر من اهل الاسلام الى ان يعتقدوا في الخالق انه جسم لا يشبه سائر الاجسام وعلى هذا الخنابلة وكثير من تبعهم والواجب عندي في هذه الصفة ان يجري فيها على منهاج الشرع فلا يصرّح فيها بنفي ولا اثبات ويجب من سأل في ذلك من الجمهور بقوله تعالى. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وينهى عن هذا السؤال وذلك لثلاثة معان احدها ان ادراك هذا المعنى ليس هو قريباً منالمعروف بنفسه برتبة واحدة ولا ربّتین ولا ثلاث وانت ربّتین ذلك من الطريق التي سلكها المتكلمون في ذلك فانهم قالوا ان الدليل على انه ليس بجسم انه قد تبيّن ان كل جسم محدث و اذا سئلوا عن الطريق التي

بِنْ سَيِّدِ الْعَزِيزِ نَزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى إِذَا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ وَابْنَنِي نَزَولُ الْوَحْيِ مِنَ السَّمَاوَاتِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي
السَّمَاوَاتِ وَكَذَلِكَ كُونُ الْمَلَائِكَةِ قَنْزِلَةً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَتَصْعُدُ إِلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى
إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمَ الْطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ وَقَالَ تَعَالَى تَرْجُعُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحُ
إِلَيْهِ وَبِالْجَمِلَةِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَلَزِّمُ الْقَاتِلَيْنَ بِنَفْيِ الْجَهَةِ عَلَى مَا سَنَدَكُرَّهُ
بَعْدَ عِنْدِ التَّكَلُّمِ فِي الْجَهَةِ وَمِنْهَا أَنَّهُ إِذَا صَرَّحَ بِنَفْيِ الْجَسَيْيَةِ وَجَبَ
التَّصْرِيبُ بِنَفْيِ الْحَرْكَةِ فَإِذَا صَرَّحَ بِنَفْيِ هَذَا عَسَرَ مَا جَاءَ فِي صَفَةِ الْحَشَرِ
مِنْ أَنَّ الْبَارِيَ يَطْلُعُ عَلَى أَهْلِ الْحَشَرِ وَأَنَّهُ الَّذِي يَتَوَوَّلُ حَسَابَهُمْ كَمَا قَالَ
تَعَالَى وَجَاهَ رَبَّكَ وَالْمَلَكَ صَفَّا صَفَّا وَذَلِكَ يَصْعُبُ تَأْوِيلُ حَدِيثِ النَّبِيِّ وَجَبَ
الْمَشْهُورُ وَأَنَّ كَانَ التَّأْوِيلُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْهُ إِلَى اَمْرِ الْحَشَرِ مَعَ أَنَّ مَا جَاءَ فِي
الْحَشَرِ مَتَوَاقِرٌ فِي الشَّرْعِ فَيَجِبُ أَنْ لَا يَصْرَحَ لِلْجَمِيعِ بِمَا يَوْلُ عَنْهُمْ إِلَى
ابْطَالِ هَذِهِ الظَّواهِرِ فَإِنْ تَأثِيرُهَا فِي نَفْوسِ الْجَمِيعِ أَنَّهَا هُوَ إِذَا حَمِلَتْ عَلَى
ظَاهِرِهَا وَأَمَّا إِذَا أَوْلَتْ فَإِنَّمَا يَوْلُ الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ أَمَّا إِنْ يَسْلُطَ
الْحَكْمَةَ الْمُقْصُودَةَ مِنْهَا وَأَمَّا إِنْ يَقُولُ فِي هَذِهِ كُلَّهَا أَنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ
هَذَا كُلَّهُ اَبْطَالُ لِلشَّرِيعَةِ وَمَحْوُ لَهَا مِنَ النَّفْوسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ الْفَاعِلُ
ذَلِكَ بِعَظِيمِ مَا جَنَاهُ عَلَى الشَّرِيعَةِ مَعَ أَنَّكَ إِذَا اعْتَرَتِ الدَّلَائِلُ الَّتِي أَحْجَجَ
لِلْمُؤْمِنِينَ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَجِدُهَا كُلَّهَا غَيْرَ بِرَهَانِيَّةً بِلِ الظَّواهِرُ الشَّرِيعَةُ
مِنْهَا أَعْنَى أَنَّ التَّصْدِيقَ بِهَا أَكْثَرُ وَأَنْتَ تَتَبَيَّنُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِنَا فِي
هَذَا الَّذِي بَنَوْا عَلَيْهِ نَفْيِ الْجَسَيْيَةِ وَكَذَلِكَ تَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي الْبَرْهَانِ
» بَنَوْا عَلَيْهِ نَفْيِ الْجَهَةِ عَلَى مَا سَنَقُولُهُ بَعْدَ وَقَدْ يَدْلُكُ عَلَى أَنَّ الشَّرْعَ

ذاتة فقال تعالى الله نور السموات والارض وبهذا الوصف وصفة النبي صلعم في الحديث الثابت فانه جاء انة قيل له عليه السلام هل رأيت ربك قال نوراني اراه وفي حديث الاسراء انة لما قرب صلعم من سدرة المنتهى غشى السدرة من النور ما جب بصرة من النظر اليها اولية سبحانه وفي كتاب مسلم ان لله جواباً من نور لو كشف لاحرقن سبحاته وجهه ما انتهى اليه بصرة وفي بعض روایات هذا الحديث سبعين جواباً من نوره وينبغى ان تعلم ان هذا المثال هو شد يد المناسبة للخلق سبحانه لانه يجتمع فيه انة محسوس تمحز الابصار عن ادراكه وكذلك الافهام مع انة ليس بجسم والوجود عند الجمهر ائمها هو المحسوس والمعدوم عندهم هو غير المحسوس والنور لما كان اشرف المحسوسات وجوب ان يمثل به اشرف الموجودات وعاهنا ايضا سبب اخر وجوب ان يسمى به نوراً وذلك ان حال وجوده من عنوان العلماء الراسخين في العلم عند النظر اليه بالعقل هي حال الابصار عند النظر الى الشمس بدحال عيون الخفافيش وكان هذا الوصف لائقاً عند الصنفين من الناس وحقاً وايضاً فان الله تبارك وتعالى لما كان سبب الموجودات وسبب ادراكتنا لها وكان النور مع الالوان هذه صفتة اعني انة سبب وجود الالوان بالفعل وسبب رؤيتنا له فبالحق ما سمى الله تبارك وتعالى نفسه نوراً واذا قيل انة نور لم يعرض شبكة في الرواية التي جاءت في المعاد فقد تبيّن لك من هذا القول الاعتقاد الاول الذي في هذه الشريعة في هذه الصفة وما حدث في ذلك من البدعة وانما سكت الشرع عن هذه الصفة لانه لا يعترف بموجود في الغائب انة ليس بجسم الا من ادرك ببرهان ان في الشاهد موجوداً بهذه الصفة وهي النفس ولما كان الوقوف على

للجسم نفسه اصلاً واما سطوح الاجسام المحيطة به فهى له مكان مثل سطوح الهواء المحيطة بالانسان وسطح الفلك المحيطة بسطح الهواء هي ايضا مكان للهواء وهكذا الابلاك بعضها حبيطة ببعض ومكان له واما سطح الفلك الخارج فقد تبرهن انه ليس خارجه جسم لانه لو كان ذلك كذلك لوجب ان يكون خارج ذلك الجسم جسم اخر ويترافق الى غير نهاية فادا سطح آخر اجسام العالم ليس مكانا اصلا اذ ليس يمكن ان يوجد فيه جسم لان كل ما هو مكان يمكن ان يوجد فيه جسم فادا ان قام البرهان على وجود موجود في هذه الجهة فواجب ان يكون غير جسم فالذى يتمتنع وجوده هنالك هو عكس ما ظنه وهو موجود هو جسم لا موجود ليس بجسم وليس لهم ان يقولوا ان خارج العالم خلاء وذلك ان الخلاء قد تبيّن في العلوم النظرية امتناعه لان ما يدل عليه اسم الخلاء ليس هو شيء اكثـر من ابعـاد ليس فيها جـسم اعـنى طـولا وعـرضا وعـمقـا لـانـهـ انـ رـفـعـتـ الـابـعـادـ عـنـ عـادـ عـدـمـاـ وـانـ انـزلـ الخـلاءـ مـوجـودـاـ لـزـمـ انـ تـكـونـ اـعـرـافـ مـوجـودـةـ فـغـيرـ جـسـمـ وـذـلـكـ انـ الـابـعـادـ هـيـ اـعـرـافـ مـنـ بـابـ الـكـمـيـةـ وـلـاـ بـدـ وـلـكـنـ قـيـلـ فـيـ الـآـراءـ السـالـفةـ الـقـدـيمـةـ وـالـشـرـائـعـ الـغـابـرـةـ انـ ذـلـكـ المـوـضـعـ هـوـ مـسـكـنـ الرـوـحـانـيـيـنـ يـرـيدـونـ اللـهـ وـالـمـلـائـكـةـ وـذـلـكـ انـ ذـلـكـ المـوـضـعـ لـيـسـ هـوـ بـمـكـانـ وـلـاـ يـحـويـهـ زـمـانـ وـذـلـكـ انـ كـلـ مـاـ يـحـويـهـ الزـمـانـ وـالـمـكـانـ فـاسـدـ فـقـدـ يـلـزـمـ انـ يـكـونـ مـاـ هـنـالـكـ غـيرـ فـاسـدـ وـلـاـ كـائـنـ وـقـدـ تـبـيـنـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ مـمـاـ اـتـولـهـ وـذـلـكـ اـنـ لـمـ يـكـنـ هـاهـنـاـ شـيـءـ اـلـاـ هـذـاـ الـمـوـجـودـ الـمـخـسـوسـ اوـ الـعـدـمـ وـكـانـ مـنـ الـمـعـرـفـ بـنـفـسـهـ انـ الـمـوـجـودـ اـنـماـ يـنـسـبـ الـوـجـودـ اـعـنىـ اـنـ يـقـالـ اـنـهـ مـوـجـودـ اـيـ فـيـ الـوـجـودـ اـذـ لـاـ يـكـنـ اـنـ يـقـالـ اـنـهـ

الجمهور وصنف عرضت لهم في هذه الاشياء شكوك ولم يقدروا على حلها وهؤلاء هم فوق العامة ودون العلماء وهذا الصنف هم الذين يوجد في حقهم التشابه في الشرع وهم الذين ذمّهم الله تعالى وأما عند العلماء والجمهور فليس في الشرع تشابه فعلى هذا المعنى فينبغي أن يفهم التشابه ومثال ما عرض لهذا الصنف مع الشرع مثال ما يعرض لخنزير مثلاً الذي هو الغذا النافع لأكثر الابدان ان يكون لأقل الابدان ضاراً وهو نافع للأكثر وكذلك التعليم الشرعي هو نافع للأكثر وربما ضرر بالاقل وهذه الاشارة بقوله تعالى وما يضل به إلا الفاسقين لكن هذا إنما يعرض في آيات الكتاب العزيز في الأقل منها والأقل من الناس وأكثر ذلك هي الآيات التي تتضمن الاعلام عن اشياء في الغائب ليس لها مثال في الشاهد فيعبر عنها بالشاهد الذي هو أقرب الموجودات إليها وأكثرها شبهاً بها فيعرض لبعض الناس أن يأخذ المثل به هو المثال نفسه فتلزمه الحيرة والشك وهو الذي يسمى متشابهاً في الشرع وهذا ليس يعرض للعلماء ولا للجمهور وهم صنف الناس بالحقيقة لأن هؤلاء هم الاصحاء والغذا الملائم إنما يوافق ابدان الاصحاء وأما أولئك فمرضى والمرضى هم الأقل وكذلك قال تعالى وأما الذين في قلوبهم زيف فيتبعون ما تشابه منه ابتعاد الفتنة وهؤلاء اهل الجدل والكلام وأشد ما عرض على الشريعة من هذا الصنف إنهم تأولوا كثيراً مما ظنوا ليس على ظاهره وقالوا إن هذا التأويل ليس هو المقصود به وإنما أتى الله به في صورة المتشابه ابتلاء لعباده واختباراً لهم ونعود بالله من هذا الظن بالله بل نقول إن كتاب الله العزيز إنما جاء مجذزاً من جهة الوضوح والبيان فإذا ما أبعد من مقصد الشرع من قال فيما ليس

بمتشابه انه متشابه ثم انه اول ذلك المتشابه بزعمه وقال جميع الناس ان فرضكم هو اعتقاد هذا التأويل مثل ما قالوه في آية الاستواء على العرش وغير ذلك مما قالوه ان ظاهره متشابه وبالجملة فالكثر التأويلات التي زعم القائلون بها أنها المقصود من الشرع اذا توقفت وجدت ليس يقوم عليها برهان ولا تفعل فعل الظاهر في قبول الجمهور لها وعملهم عنها فان المقصود الاول بالعلم في حق الجمهور انتا هو العمل فما كان افع في العمل فهو اجدر واما المقصود بالعلم في حق العلماء فهو الامان جميعا اعني العلم والعمل ومثال من اول شيئا من الشرع وزعم ان ما اوله هو ما تصد الشرع وصرح بذلك التأويل للجمهور مثال من اتي الى دواء قد ركبه طبيب ماهر ليحفظ حته جميع الناس او الاكثر نجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء المركب الاعظم لرداة مزاج كان به ليس يعرض الا لائق من الناس فزعم ان بعض تلك الادوية التي صرخ باسمه الطبيب الاول في ذلك الدواء العام المنفعة المركبة لم يرد به ذلك الدواء الذي جرت العادة في اللسان ان يدل بذلك الاسم عليه واتنا اريد به دواء آخر مما يمكن ان يدل عليه بذلك باستعارة بعيدة فازال ذلك الدواء الاول من ذلك المركب الاعظم وجعل فيه بدله الدواء الذي ظن انه الذي قصده الطبيب وقال للناس هذا هو الذي قصده الطبيب الاول فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه هذا المتأول ففسدت به امزجة كثير من الناس نجاء آخرون شعروا بفساد امزجة الناس عن ذلك الدواء المركب فراموا اصلاحه بان ابدلوا بعض ادوبيته بدواء آخر غير الدواء الاول فعرض من ذلك للناس نوع من المرض غير النوع الاول نجاء ثالث فتناول

في ادوية ذلك المركب غير التأويل الاول والثاني فعرض للناس من ذلك نوع ثالث من المرض غير النوعين المتقددين فجاء متأول رابع فتاول دواء آخر غير الادوية المتقدمة فعرض منه للناس نوع رابع من المرض غير الامراض المتقدمة فلما طال الزمان بهذه المركب الاعظم وسلط الناس التأويل على ادويته وغيرها وبدلوها عرض منه للناس امراض شتى حتى فسدت المنفعة المقصودة بذلك الدواء المركب في حق اكثر الناس وهذه هي حال الفرقه الحادثة في هذه الطريقة مع الشريعة وذلك ان كل فرقه منهم تأولت في الشريعة تأويلا غير التأويل الذي تأولته الفرقه الأخرى وزعمت انه الذي قصده الشرع حتى تمزق الشرع كل ممزق وبعد جدا عن موضعه الاول ولما علم صاحب الشرع صلعم ان مثل هذا يعرض ولا بد في شريعته قال ستفترق امتى على اثننتين وسبعين فرقه كلها في النار الا واحدة يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشرع ولم تؤله تأويلا صرحت به للناس وانت اذا قابلت ما في هذه الشريعة في هذا الوقت من الفساد العارض فيها من قبل التأويل تبيئت ان هذا المثال حجيم واول من غير هذا الدواء الاعظم هم الخوارج ثم المعتزلة بعدهم ثم الاشعرية ثم الصوفية ثم جاء ابو حامد نطم الوادي على القرى وذلك انه صرخ بالحكمة كلها لجمهور وباراء الحكماء على ما اداه اليه فهمه وذلك في كتابه الذي سماه بالمقاصد فزعم انه اثنا الف هذا الكتاب للردة عليهم ثم وضع كتابه المعروف بتهافت الفلسفه فكفرهم فيه في مسائل ثلاثة من جهة خرقهم فيها للاجماع كما زعم وبدعهم في مسائل واتي فيه بحجج مشككة وشبه حجيرة اصلت كثيرا من الناس عن الحكمة وعن الشريعة ثم

قال في كتابه المعروف بجوهر القرآن أنَّ الذِّي أثبَتَهُ فِي كِتابِ التَّهافتِ هُوَ اقاوِيلُ جَدْلِيَّةٍ وَأَنَّ الْحَقَّ أَنَّمَا أثبَتَهُ فِي المُضنُونِ بِهِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ثُمَّ جَاءَ فِي كِتابِهِ الْمُعْرُوفِ بِمشكَاةِ الْأَنوارِ فَذَكَرَ فِيهِ مَرَاتِبَ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ فَقَالَ أَنَّ سَائِرَهُمْ مُجَهُوبُونَ إِلَّا الَّذِينَ اعْتَقَدُوا أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ غَيْرَ مُحَرِّكِ السَّمَاوَاتِ الْأَوَّلَيْنَ وَهُوَ الذِّي صَدَرَ عَنْهُ هَذَا الْمُحَرِّكُ وَهَذَا تَصْرِيفٌ مِنْهُ بِاعْتِقَادِ مَذَاهِبِ الْحَكَمَاءِ فِي الْعِلُومِ الْإِلَهِيَّةِ وَهُوَ قَدْ قَالَ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعُهُ أَنَّ عِلُومَهُمُ الْإِلَهِيَّةَ هُوَ تَخْمِينَاتٌ بِخَلَافِ الْأَمْرِ فِي سَائِرِ عِلُومِهِمْ وَأَمَّا فِي كِتابِ الذِّي سَمَّاهُ الْمَنْقُذُ مِنَ الْضَّلَالِ فَأَنْجَى فِيهِ عَلَى الْحَكَمَاءِ وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ أَنَّمَا يَحْصُلُ بِالْخُلُوَّ وَالْفَكْرَةِ وَأَنَّ هَذِهِ الْمَرْتبَةَ هُوَ جَنْسُ مَرَاتِبِ الْإِنْبِيَاءِ فِي الْعِلْمِ وَكَذَلِكَ صَرَّحَ بِذَلِكَ بِعِينِهِ فِي كِتابِ الذِّي سَمَّاهُ بِكَيْبِيَا السَّعَادَةِ فَصَارَ النَّاسُ بِسَبِبِ هَذَا التَّشْوِيشِ وَالتَّخْلِيْطِ فَرَقْتَيْنِ فَرْقَةً انتَدَبَتْ لِذَمِ الْحَكَمَاءِ وَالْحَكْمَةِ وَفَرْقَةً انتَدَبَتْ لِتَأْوِيلِ الشَّرْعِ وَرَوْمَ صِرَفَةِ إِلَى الْحَكْمَةِ وَهَذَا كُلُّهُ خَطَاً بِلَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُرَّ الشَّرْعُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَلَا يَصْرَحَ لِلْجَمِيعِ بِالْجَمِيعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَكْمَةِ لَأَنَّ التَّصْرِيفَ بِذَلِكَ هُوَ تَصْرِيفٌ بِنَتْائِجِ الْحَكْمَةِ لَهُمْ دُونَ أَنْ يَكُونُ عِنْدَهُمْ بَرْهَانٌ عَلَيْهَا وَهَذَا لَا يَحْلُّ وَلَا يَجُوزُ أَعْنِي أَنْ يَصْرَحَ بِشَيْءٍ مِنْ نَتْائِجِ الْحَكْمَةِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ الْبَرْهَانُ عَلَيْهَا لَأَنَّهُ لَا يَكُونُ لَا مَعَ الْعُلَمَاءِ الْجَامِعِينَ بَيْنَ الشَّرْعِ وَالْعُقْدِ وَلَا مَعَ الْجَمِيعِ الْمُتَبَعِينَ لِظَاهِرِ الشَّرْعِ فَلَمَّا حَقَّ مِنْ فَعْلِهِ هَذَا اَخْلَالٌ بِالْأَمْرِيْنِ جَمِيعًا أَعْنِي بِالْحَكْمَةِ وَبِالْشَّرْعِ عِنْدَ اَنَّاسٍ وَحْفَظَ الْأَمْرِيْنِ جَمِيعًا عِنْدَ آخَرِيْنِ اَمَّا اَخْلَالُهُ بِالشَّرِيعَةِ فَمِنْ جِهَةِ اَفْسَاحِهِ فِيهَا بِالْتَّاوِيلِ الذِّي لَا يَجُبُ اَفْسَاحَهُ بِهِ وَأَمَّا اَخْلَالُهُ بِالْحَكْمَةِ فَلَا يَجُبُ اَفْسَاحَهُ اِيْضًا بِمَعْنَى فِيهَا لَا يَجُبُ اَنْ يَصْرَحَ بِهَا إِلَّا فِي كِتَابِ الْبَرْهَانِ

واما حفظة للامريين فلان كثيرا من الناس لا يرى بينهما تعارضا من جهة الجمع الذى استعمل بينهما واكتد هذا المعنى بان عرف وجه الجمع بينهما وذلك في كتابه الذى سماه التفرقة بين الاسلام والزندقة وذلك انه عدد فيه اصناف التأويلات وقطع فيه على ان المؤول ليس بكافر وان خرق الاجماع في التأويل فادعا ما فعل من هذه الاشياء فهو ضار للشرع بوجه وللحكمة بوجه ولهمما بوجه وهذا الذى فعله هذا الرجل اذا فحص عنه ظهر انه ضار بالذات للامريين جميعا اعني الحكمة والشريعة وانه نافع لهم بالعرض وذلك ان الانصاح بالحكمة لمن ليس باهلها يلزم عن ذلك بالذات اما ابطال الحكمة واما ابطال الشريعة وقد يلزم عنه بالعرض الجمع بينهما والصواب كان الا يصرح بالحكمة للجمهور واما وقد وقع التصریج فالصواب ان تعلم الفرقة من الجمهور التي ترى ان الشريعة مخالفة للحكمة انها ليست مخالفة لها وكذلك الذين يرون ان الحكمة مخالفة لها من الذين ينتسبون للحكمة انها ليست مخالفة لها وذلك بان يعرف كل واحد من الفريقين انه لم يقف على كنههما بالحقيقة اعني على كنه الشريعة ولا على كنه الحكمة وان الرأى في الشريعة الذي اعتقاد انه مخالف للحكمة هو رأى اما مبتدع في الشريعة لا من اصلها واما رأى خطأ في الحكمة اعني تاویل خطأ عليها كما عرض في مسألة علم الجزيئات وفي غيرها من المسائل ولهذا المعنى اضطررنا نحن في هذا الكتاب ان نعرف اصول الشريعة فان اصولها اذا توصلت وجدت اشد مطابقة للحكمة مما اول فيها وكذلك الرأى الذي ظن في الحكمة انه مخالف للشريعة يعرف ان السبب في ذلك انه لم يحط على ما بالحكمة ولا بالشريعة ولذلك اضطررنا نحن ايضا الى وضع

يعرض من فرضها حال فاما ما عاندوا به قول المعتزلة ان كل مرتئى فهو في جهة من الرأى فمنهم من قال ان هذا ائما هو حكم الشاهد لا حكم الغائب وان هذا الموضع ليس هو من الموضع التي يجب فيها نقل حكم الشاهد الى الغائب وانه جائز ان يرى الانسان ما ليس في جهة اذا كان جائزا ان يرى الانسان بالقوية البصرة نفسها دون عين وهو لام اختلط عليهم ادراك العقل مع ادراك البصر فان العقل هو الذي يدرك ما ليس في جهة اعني في مكان واما ادراك البصر ظاهر من امره ان من شرطه ان يكون المرئى منه في جهة ولا في جهة فقط بل وفي جهة ما مخصوصة ولذلك ليس تناقض الرواية باى وضع اتفق ان يكون البصر من المرئى بل باوضاع محدودة وشروط محدودة ايضا وهي ثلاثة اشياء حضور الضوء والجسم الشفاف المتوسط بين البصر والمبصر وكون المبصر ذا الوان ضرورة والردة لهذه الامور المعروفة بنفسها في الابصار هو رد للاوائل المعلومة بالطبع للجميع وابطال جميع علوم المناظر والهندسة وقد قال القوم اعني الاشعرية ان احد الموضع التي يجب ان ينقل فيها حكم الشاهد الى الغائب هو الشرط مثل حكمنا ان كل عالم حتى تكون الحياة تظهر في الشاهد شرطا في وجود العلم وان كان ذلك قلنا لهم وكذلك يظهر في الشاهد ان هذه الاشياء هي شروط في الرواية فالحقوا الغائب فيها بالشاهد على اصلكم . . . وقد رام ابو حامد في كتابه المعروف بالمقاصد ان يعنى بهذه المقدمة اعني ان كل مرتئى في جهة من الرأى بان الانسان يبصر ذاته في المرأة وان ذاته ليست منه في جهة غير جهة مقابلة وذلك انه لها كان يبصر ذاته وكانت ذاته ليست تخل في المرأة التي في الجهة مقابلة فهو يبصر ذاته في

غير جهة وهذه مغالطة فان الذى يبصر هو خيال ذاته والخيال منه هو فى جهة اذ كان الخيال فى المرأة والمرأة فى جهة واما جثتهم التى انوا بها فى امكان رؤية ما ليس بجسم فان المشهور عندهم فى ذلك جثتان احد هما وهو الاشهر عندهم ما يقولونه من ان الشيء لا يخلو ان يرى من جهة ما هو ملون او من جهة انه جسم او من جهة انه لون او من جهة انه موجود وربما عددا جهات اخر غير هذه للموجود ثم يقولون وباطل ان يرى من قبل انه جسم اذ لو كان كذلك لما رئي اللون وباطل ان يرى ل مكان انه لون اذ لو كان كذلك لما رئي الجسم واذا بطلت جميع هذه الاقسام التى تتلوهم فى هذا الباب فلم يبق ان يرى الشيء الا من قبل انه موجود والغالطة فى هذا القول بيئنة فان المرئى منه ما هو مرئى بذاته ومنه ما هو مرئى من قبل المرئى بذاته وهذه هي حال اللون والجسم فان اللون مرئى بذاته والجسم مرئى من قبل اللون ولذلك ما لم يكن له لون لم يبصر ولو كان الشيء اثنا يرى من حيث هو موجود فقط لوجب ان تبصر الا صوات وسائل المحسوسات الخمس فكان يكون البصر والسمع وسائل الحواس الخمس حاسة واحدة وهذه كلها خلاف ما يعقل وقد اضطرر المتكلمون لمكان هذه المسألة وما اشبهها ان يسلّموا ان الالوان ممكنة ان تسمع والاصوات ممكنة ان ترى وهذا كله خروج عن الطبيع وعن ما يمكن ان يعقله انسان فانه من الظاهر ان حاسة البصر غير حاسة السمع وان محسوس هذه غير محسوس تلك وان آلة هذه غير آلة تلك وانه ليس يمكن ان ينقلب البصر سعيا كما ليس يمكن ان يعود اللون صوتا والذين يقولون ان الصوت يمكن ان يبصر في وقت ما فقد يجب ان يستلوا فيقال

لهم ما هو البصر فلا بد من ان يقولوا هو قوة تدرك بها المرئيات الالوان
 وغيرها ثم يقال لهم ما هو السمع فلا بد ان يقولوا هو قوة تدرك بها
 الاصوات فاذا وضعوا هذا قيد لهم فهذا البصر عند ادراكه الاصوات هو بصر
 فقط او سمع فقط فان قالوا سمع فقط فقد سلّموا انه لا يدرك الالوان وان
 قالوا بصر فقط فليس يدرك الاصوات واذا لم يكن بصرا فقط لانه يدرك
 الاصوات ولا سمعا فقط لانه يدرك الالوان فهو بصر وسمع معا وعلى هذا
 فستكون الاشياء كلها شيئاً واحداً حتى المتضادات وهذا شئ فيما احسبه
 يسلّمه المتكلمون من اهل ملتتنا او يلزمهم تسليمه وهو رأي سوفسطاني
 لاقوام قدماه مشهورين بالسوفسطة واما الطريقة الثانية التي سلكها
 المتكلمون في جواز الروية فهى الطريقة التي اختارها ابو المعالى في كتابه
 المعروف بالارشاد وهى هذه الطريقة وتلخيصها ان الحواس اتها تدرك ذوات
 الاشياء وما تنفصل به الموجودات بعضها من بعض هي احوال ليست
 بذوات فالحواس لا تدركها وانما تدرك الذات والذات هي نفس الموجود
 المشترك لجميع الموجودات فاذا الحواس اتها تدرك الشى من حيث هو
 موجود وهذا كله في غاية الفساد ومن ابين ما يظهر به فساد هذا القول
 انه لو كان البصر اتها يدرك الاشياء لما امكنه ان يفرق بين الابيدين
 والاسود لأن الاشياء لا تفترق بالشى الذى تشتراك فيه ولا كان بالجملة
 يمكن في الحواس لا في البصر ان يدرك فصول الالوان ولا في السمع ان يدرك
 فصول الاصوات ولا في الطعم ان يدرك فصول المطعومات وللزمن ان تكون
 مدارك المحسوسات بالجنس واحداً فلا يكون فرق بين مدرك السمع وبين
 مدرك البصر وهذا كله في غاية الخروج عما يعقله الانسان وانما تدرك

الحواس ذات الاشياء المشار اليها بتوسط ادراکها لمحسوساتها الخاصة بها فوجة المغالطة في هذا هو ان ما يدرك ذاتياً اخذ انه مدرك بذاته ولو النسا على هذه الاقاويل وعلى التعظيم للقائلين بها لما امكن ان يكون فيها شيء من الاقناع ولا وقع بها التصديق لاحد سليم الفطرة . والسبب في مثل هذه الحيرة الواقعه في الشريعة حتى الجأت القائمين بنصرتها في زعمهم الى مثل هذه الاقاويل الهجينة التي هي حكمة من عنى بتبيين اصناف الاقاويل ادنى عنایة هو التتصريح في الشرع بما لم يأذن الله ورسوله به وهو التتصريح بنفي الجسيمة للجمهور وذلك انه من العسير ان يجتمع في اعتقاد واحد ان هاهنا موجوداً ليس بجسم وانه مرئي بالابصار لأن مدارك الحواس هي في الاجسام او اجسام ولذلك رأى قوم ان هذه الروية هي مزيد علم في ذلك الوقت وهذا ايضا لا يليق الانصاف به للجمهور وانه لما كان العقل من الجمهور لا ينفك من التخييل بل ما لا يتخيلون هو عندم عدم وكان تخيل ما ليس بجسم لا يمكن والتصديق بوجود ما ليس بمخيل غير ممكن عندم عدل الشرع عن التتصريح لهم بهذا المعنى فوصفه سبحانه لهم باوصاف تقرب من قوة التخييل مثل ما وصفه به من السمع والبصر والوجه وغير ذلك مع تعريفهم انه لا يجانسه شيء من الموجودات المتخيلة ولا يشبهه ولو كانقصد تعريف الجمهور انه ليس بجسم لما صرخ لهم بشيء من هذا بل لما كان اربع الموجودات المتخيلة هو النور ضرب لهم المثال به اذ كان النور هو اشهر الموجودات عند الحسن والتخييل وبهذا النحو من التصور امكن ان يفهموا المعاني الموجودات في المعاد اعني ان تلك المعاني مثلت لهم باسم متخيلة

محسوسة فاداً متى أخذ الشرع في اوصاف الله تبارك وتعالى على ظاهر لم
تعرض فيه هذه الشبهة ولا غيرها لانه اذا قيل له انه نور وان له جباباً من
نور كما جاء في القرآن والسنة الثابتة ثم قيل ان المؤمنين يرون في الآخرة
كما ترى الشمس لم يعرض في هذا كله شك ولا شبهة في حق الجمهور ولا
في حق العلماء وذلك انه قد تبرهن عند العلماء ان تلك الحال مزید
علم لاكن متى صرخ لهم به اعني للجمهور ابطلت عندم الشريعة كلها
او كفروا المتصرخ لهم بها فمن خرج عن منهاج الشرع في هذه الاشياء
فقد ضل عن سوء السبيل وانت اذا تأملت الشرع وجدته مع انه قد ضرب
لله الجمهور في هذه المعاني المثالات التي لم يمكن تصوّرها ايها دونها فقد
نبه العلماء على تلك المعاني انفسها التي ضرب مثالاتها للجمهور فيجب
ان يوقف عند حد الشرع في نحو التعليم الذي خص به صنفاً صنفاً من
الناس والا يختلط التعليمان كلاهما فتفسد الحكمة الشرعية النبوية ولذلك
قال عليه السلام انا عشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم وان
نخاطبهم على قدر عقولهم ومن جعل الناس شرعاً واحداً في التعليم فهو
كم من جعلهم شرعاً واحداً في عمل من الاعمال وهذا كله خلاف المحسوس
والمعقول فقد تبيّن لك من هذا ان الرواية معنى ظاهر وانه ليس يعرض
فيه شبهة اذا اخذ الشرع على ظاهره في حق الله تبارك وتعالى اعني
اذا لم يصرخ فيه بمعنى الجسمية ولا بائباتها واد قد تبيّنت عقائد الشرع
الاول في التنزيه والمقدار الذي سلك في تعليم الجمهور من ذلك فقد
ينبغي ان نشير الى الجزء الذي يتضمن معرفة افعال الله تبارك وتعالى وهو
الفن الخامس من هذه الفنون وبه ينقضى القول في هذا الذي قصدناه

الفن الخامس في معرفة الأفعال

ونذكر في هذا الفن خمس مسائل فقط هي الأصول التي عليها يدور كل ما في هذا الباب المستلة الأولى في إثبات خلق العالم الثانية في بعث الرسول الثالثة في القضاء والقدر الرابعة في التجویر والتعديل الخامسة في المعاد ..

المستلة الأولى في حدوث العالم اعلم ان الذى قصده الشرع من معرفة العالم هو انه مصنوع لله تبارك وتعالى ومحترع له وانه لم يوجد عن الاتفاق ومن نفسه فالطريق التى سلك الشرع بالناس فى تقرير هذا الأصل ليس هو طريق الاشعرية فانا قد بيّنا ان تلك الطرق ليست من الطرق اليقينية الخاصة بالعلماء ولا هي من الطرق العامة المشتركة بالجميع وهى الطرق البسيطة اعنى بالبساطة القليلة المقدمات التى تتأتجها تربية من المقدمات المعروفة بنفسها واما البيانات التى تكون بالمقاييس المركبة الطويلة التى تبني على اصول متفرقة فليس يستعملها الشرع فى تعليم الجمهور فكل من سلك بالجمهور غير هذا النوع من الطرق اعنى البسيطة وتأول ذلك على الشرع فقد جهل مقصده وزاغ عن طرقه وكذلك ايضا لا يعرف الشرع بامثال هذه المقاييس من الامور الا ما كان له مثال في الشاهد وما كانت الحاجة الى تعريف الجمهور به وكيدة مثل ذلك باقرب الاشياء شبيها به كحال في احوال المعاد وما لم تكن لهم به حاجة الى معرفته في هذا الجنس عرقوا انه ليس من علمهم كما قال تعالى في الروح واد قد تقرر لنا هذا الأصل فواجب ان تكون الطريقة التى سلكها الشرع في تعليم الجمهور

حدوث العالم من الطرق البسيطة المعترف بها عند الجميع وواجب ان كان حدوثه ليس له مثال في الشاهد ان يكون الشرع استعمل في تمثيل ذلك حدوث الاشياء المشاهدة فاما الطريق التي سلكها الشرع في تعليم الجمهور ان العالم مصنوع لله تبارك وتعالى فانه اذا تؤملت الآيات التي تضمنت هذا المعنى وجدت تلك الطرق هي طريق العناية وهي احدى الطرق التي قلنا انها الدالة على وجود الخالق تعالى وذلك انه كما ان الانسان اذا نظر الى شيء محسوس فرأه قد وضع بشكل ما وقدر ما ووضع ما موافق في جميع ذلك للمنفعة الموجودة في ذلك الشيء المحسوس والغاية المطلوبة حتى يعترف انه لو وجد بغير ذلك الشكل او بغير ذلك الوضع او بغير ذلك القدر لم توجد فيه تلك المنفعة علم على القاطع ان لذلك الشيء صانعا صنعة ولذلك وافق شكله ووضعه وقدره تلك المنفعة وانه ليس يمكن ان تكون موافقة اجتماع تلك الاشياء لوجود المنفعة بالاتفاق مثال ذلك انه اذا رأى انسان حبرا موجودا على الارض فوجد شكله بصفة يتاتي منها الجلوس ووجد ايضا وضعه كذلك وقدره علم ان ذلك **الجر** انما صنعة صانع وهو الذي وضعه كذلك وقدره في ذلك المكان واما متى لم يشاهد شيئا من هذه الموافقة للجلوس فانه يقطع ان وقوعه في ذلك المكان ووجوده بصفة ما هو بالاتفاق ومن غير ان يجعله هنالك فاعل كذلك الامر في العالم كله فانه اذا نظر الانسان الى ما فيه من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي هي سبب الازمنة الاربعة وسبب الليل والنهار وسبب الامطار والمياه والرياح وسبب عمارة اجزاء الارض ووجود الناس فيها وسائر الكائنات من الحيوانات والنبات وكون الارض موافقة لسكنى الناس فيها وسائر

الحيوانات البرية وكذلك الماء موافقاً للحيوانات المائية والهواء للحيوانات الطائرة وأنه لو احتل شيء من هذه الخلقة والبنية لاحتل وجود المخلوقات التي هاهنا علم على القطع أنه ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة التي في جميع أجزاء العالم للإنسان والحيوان والنبات بالاتفاق بل ذلك من قاصد قصده ومرید اراده وهو الله عز وجل وعلم على القطع أن العالم مصنوع وذلك أنه يعلم ضرورة أنه لم يمكن أن توجد فيه هذه الموافقة لو كان وجوده عن غير صانع بل عن الاتفاق فاما أن هذا النوع من الدليل قطعى وأنه بسيط ظاهر من هذا الذي كتبناه وذلك أن مبناه على اصلين معترف بهما عند الجميع احدهما أن العالم بجميع أجزائه يوجد موافقاً لوجود الإنسان ولوجود جميع الموجودات التي هاهنا والآخر الثاني أن كل ما يوجد موافقاً في جميع أجزائه لفعل واحد ومسداً نحو غاية واحدة فهو مصنوع ضرورة فينتتج عن هذين الاصلين بالطبع أن العالم مصنوع وأن له صانعاً وذلك أن دلالة العناية تدل على الامررين معاً ولذلك كانت اشرف الدلائل الدالة على وجود الصانع وأما أن هذا النوع من الاستدلال هو النوع الموجود في الكتاب العزيز فذلك يظهر من غير ما آية من الآيات التي يذكر فيها بدأ الخلق فمنها قوله تعالى الم نجعل الأرض مهاداً والجبال اوقاداً إلى قوله وجنت الفافاً فان هذه الآية اذا توكلت وجد فيها التنبيه على موافقة أجزاء العالم لوجود الإنسان وذلك أنه ابتدأ فنبه على أمر معروف بنفسه لنا معاشر الناس الابيض والاسود وهو ان الأرض خلقت بصفة يتناثر لها المقام عليها وأنها لو كانت متحركة او بشكل آخر غير شكلها او في موضع آخر غير الموضع الذي هي فيه او بقدر غير

هذا القدر لما امكن ان نوجد فيها ولا ان خلق عليها وهذا كلّه محصور في قوله تعالى الم نجعل الارض مهاداً وذلك ان المهد يجمع الموافقة في الشكل والسكن والوضع وزائدًا الى هذا معنى الوثارة واللذين فما اعجب هذا لاعجاز وانفصل هذه السعادة واغرب هذا الجمع وذلك انه قد جمع في لفظ مهاد جميع ما في الارض من موافقتها تكون الانسان عليها وذلك شيء قد تبيّن على التمام للعلماء في ترتيب من الكلام طويل وقدر من الرمان غير يسير والله يختص ببرحمته من يشاء واما قوله تعالى والجبال اوتادا فانه نسبة بذلك على المنفعة الموجودة في سكون الارض من قبل الجبال فانه لو قدرت الارض اصغر مما هي كانت قلت دون الجبال لتزعزعـت من حركات باقي الاسطقطاسات اعني الماء والهواء ولترزلـلت وخرجـت من موضعها ولو كان ذلك كذلك لهلـك الحيوان ضرورة فاذـا موافقة سكونها لما عليها من الموجودـات لم تعرـض بالاتفاق وانـما عرضـت عن قصد قاصـد وارادة مرـيد نـهي ضرورة مصنـوعة لذلك القاصـد سبحانـه موجودـة له على الصـفة التي قدرـها لـوجودـها علىـها من المـوجودـات ثمـ نسبة ايـضا على موافـقة وجـود اللـيل والنـهار لـالـحيـوان فقال تعالـى وجعلـنا اللـيل لـبسـا والنـهـار مـعاـشا يـ يريد انـ اللـيل جـعلـه كالـسـترة والـلبـاس للمـوجودـات التي هـاهـنا من حرـارة الشـمـس وـذلك انه لـولا غـيـبة الشـمـس بالـلـيل لـهـلـكت المـوجودـات التي جـعلـ الله حـياتـها بالـشـمـس وهوـ الحـيـوان والنـبات فـلـما كانـ اللـباس قدـ يـقـى منـ الحرـ معـ انهـ سـترة وكانـ اللـيل يـوجـدـ فيهـ هـذـانـ المعـنيـان سـماءـ اللهـ تعالـى لـبسـا وـهـذاـ منـ ابـدعـ الـاستـعـارـة وـفـيـ اللـيلـ ايـضاـ منـفـعـةـ اخـرىـ لـالـحـيـوانـ وهوـ انـ نـوـمةـ يـكـونـ فـيـهـ مـسـتـغـرـقاـ لـمـكـانـ ذـهـابـ الضـوءـ الـذـيـ يـحـركـ الـحوـاسـ الـظـاهـرـ

البدن الذى هو اليقظة ولذلك قال تعالى وجعلنا نوكم سباتاً اي مستغرقاً من قبل ظلمة الليل ثم قال تعالى وبنينا فوقكم سبعاً شداداً وجعلنا سراجاً وقاجاً فعبر بلفظ البنيان عن معنى الاختراع لها وعن معنى الاتفاق الموجود فيها والنظام والترتيب وعبر بمعنى الشدة عما جعل فيها من القوة على الحركة التي لا تفتر عنها ولا يلتحقها من قبلها كلال ولا تخاف ان تخرب كما تخرب السقوف والمباني العالية والى هذا الاشارة بقوله تعالى وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهذا كله تنبيه منه على موافقتها في اعدادها واشكالها واواعتها وحركاتها لوجود ما على الارض وما حولها حتى انه لو وقف جرم من الاجرام السماوية لحظة واحدة لفسد ما على وجه الارض فضلا عن ان يقف كتلها وقد زعم قوم ان النفح في الصور الذي هو سبب الصعقة هو وقوف الفلك ثم ثبته على منفعة الشمس الخاصة وموافقتها لوجود ما على الارض فقال تعالى وجعلنا سراجاً وقاجاً وانما سمأها سراجاً لأن الاصل هو الظلمة والضوء طارئ على الظلمة كما ان السراج طارئ على ظلمة الليل ولو لا السراج لم ينتفع الانسان بمحاسة بصريه بالليل وكذلك لو لا الشمس لم ينتفع الحيوان بمحاسة بصريه اصلاً وانما ثبته على هذه المنفعة للشمس فقط دون سائر منافعها لانها اشرف منافعها واظهرها ثم ثبته تعالى على العناية المذكورة في نزول المطر وانه انما ينزل لمكان النبات والحيوان وان نزول المطر بقدر محدود وفي اوقات محدودة لنباتات الزرع ليس يمكن ان يعرض عن الاتفاق بل سبب ذلك العناية بما هاهونا فقال تعالى وانزلنا من المعصرات ماء ثم تجاجاً لنخرج به حبّاً ونباتاً وجثات الفائـا والآيات التي في القرآن في التنبيه على هذا المعنى كثيرة مثل قوله تعالى المـ

قرروا كيف خلق الله سبع سمات طبائناً وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً والله انبتكم من الارض نباتاً وممثل قوله تعالى الله الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء ولو ذهيناً لتعدد هذه الآيات ونفصل ما ثبّهت عليه من العناية التي قدّل على الصانع والمصنوع لما وسع ذلك مجلدات كثيرة وليس قصدنا ذلك في هذا الكتاب ولعلنا ان انساً الله في الاجل ووقع لنا فراغ ان نكتب كتاباً في العناية التي ثبّهت عليها الكتاب العزيز .. وينبغي ان تعلم ان هذا النوع من الاستدلال في غاية المضادة للاستدلال الذي زعمت الاشعرية انه الطريق الى معرفة الله سبحانه وذلك انهم زعموا ان دلالة الموجودات على الله تبارك وتعالى ليس من اجل حكمة فيها تقتضي العناية ولكن من قبل الجواز اي من قبل ما يظهر في جميع الموجودات انه جائز في العقل ان يكون بهذه الصفة وبضدها فانه ان كان هذا الجواز على السواء فليس هاهنا حكمة ولا توجد هاهنا موافقة اصلاً بين الانسان وبين اجزاء العالم وذلك انه ان كان يمكن على زعمهم ان تكون الموجودات على غير ما هي عليه موجودها على ما هي عليه فليس هاهنا موافقة بين الانسان وبين الموجودات التي امتنّ عليه الله بخلقها وامره بشكره عليها فان هذا الرأي الذي يلزمهم ان يكون امكان خلق الانسان جزء من هذا العالم كامكان خلقة في الخلاء مثلما الذي يرون انه موجود بل والانسان عندهم يمكن ان يكون بشكل آخر وخلقة اخرى ويوجد عنه فعل الانسان وقد يمكن عندهم ان يكون جزء من عالم آخر مخالف بالحد والشرج لهذا العالم فلا تكون نعمة هاهنا يمتن بها على الانسان لأنّ ما ليس بضروري ولا من جهة الفضل في وجود الانسان

فالانسان مستغن عنـه وما هو مستغن عنـه فليس وجودـه بانـعـام عليه وهذا كلـه خلاف ما في فطر الناس وبالجملـة فكـما أـنه من انـكر وجودـ المـسبـبات مرـقبـة على الاسـباب في الـامـرـ الصـنـاعـيـة او لم يـدرـكـها فـهـمـهـ فـلـيـسـ عـنـهـ عـلـمـ بالـصـنـاعـةـ وـلـاـ الصـافـعـ كـذـلـكـ مـنـ جـدـ وـجـودـ تـرـقـيـبـ المـسـبـباتـ عـلـىـ الاسـبابـ فيـ هـذـاـ الـعـالـمـ فـقـدـ جـدـ الصـافـعـ الحـكـيمـ تـعـالـىـ اللـهـ عـنـ ذـلـكـ عـلـوـاـ كـبـيرـاـ
 وـقـولـهـمـ اـنـ اللـهـ اـجـرـيـ العـادـةـ بـهـذـهـ الاسـبابـ وـاـنـهـ لـيـسـ لـهـ تـأـثـيرـ فـىـ المـسـبـباتـ بـاـذـنـهـ قـوـلـ بـعـيـدـ جـدـاـ عـنـ مـقـتضـيـ الـحـكـمـ بـلـ هـوـ مـبـطـلـ لـهـ لـانـ
 المـسـبـباتـ اـنـ كـانـ يـمـكـنـ اـنـ تـوـجـدـ مـنـ غـيـرـ هـذـهـ الاسـبابـ عـلـىـ حـدـ مـاـ
 يـمـكـنـ اـنـ تـوـجـدـ بـهـذـهـ الاسـبابـ فـاـيـ حـكـيـمـ فـيـ وـجـودـهـاـ عـنـ هـذـهـ الاسـبابـ
 وـذـلـكـ اـنـ وـجـودـ المـسـبـباتـ عـنـ الاسـبـابـ لـاـ يـخـلـوـ مـنـ ثـلـاثـةـ اوـجـهـ اـمـاـ اـنـ
 يـكـونـ وـجـودـ الاسـبابـ لـمـكـانـ المـسـبـباتـ مـنـ الـاصـطـرـارـ مـثـلـ كـوـنـ الـانـسـانـ
 مـتـفـدـيـاـ وـاـمـاـ اـنـ يـكـونـ مـنـ اـجـلـ الـاـفـضـلـ اـعـنـىـ لـتـكـونـ المـسـبـباتـ بـذـلـكـ اـفـضـلـ
 وـاتـمـ مـثـلـ كـوـنـ الـانـسـانـ لـهـ عـيـنـاـنـ وـاـمـاـ اـنـ يـكـونـ ذـلـكـ لـاـ مـنـ جـهـةـ الـاـفـضـلـ
 وـلـاـ مـنـ الـاـصـطـرـارـ فـيـكـونـ وـجـودـ المـسـبـباتـ عـنـ الاسـبابـ بـالـاـقـفـاقـ وـبـغـيـرـ قـصـدـ
 فـلـاـ تـكـوـنـ هـنـالـكـ حـكـمـ اـصـلـاـ وـلـاـ تـدـلـ عـلـىـ صـانـعـ اـصـلـاـ بـلـ اـنـماـ تـدـلـ عـلـىـ
 الـاـقـفـاقـ وـذـلـكـ اـنـ كـانـ مـثـلـاـ لـيـسـ شـكـلـ يـدـ الـانـسـانـ وـلـاـ عـدـ اـصـابـعـهـاـ
 وـلـاـ مـقـدـارـهـاـ ضـرـورـيـاـ وـلـاـ مـنـ جـهـةـ الـاـفـضـلـ فـيـ الـاـمـسـاكـ الذـيـ هـوـ فـعـلـهـاـ وـفـيـ
 اـحـتوـائـهـاـ عـلـىـ جـمـيـعـ الـاـشـيـاءـ الـمـخـتـلـفـةـ الشـكـلـ وـمـوـافـقـتـهـاـ لـامـسـاكـ آلـاتـ جـمـيـعـ
 الـصـنـائـعـ فـوـجـودـ اـنـعـالـ الـيـدـ هـوـ عـنـ شـكـلـهـاـ وـعـدـ اـجـرـائـهـاـ وـمـقـدـارـهـاـ هـوـ
 بـالـاـقـفـاقـ وـلـوـ كـانـ ذـلـكـ كـذـلـكـ لـكـانـ لـاـ فـرـقـ بـيـنـ اـنـ يـخـصـ الـانـسـانـ بـالـيـدـ اوـ
 بـالـخـافـرـ اوـ بـغـيـرـ ذـلـكـ مـاـ يـخـصـ حـيـوانـاـ حـيـوانـاـ مـنـ الشـكـلـ الـمـوـافـقـ لـفـعـلـهـ

وبالجملة متى رفعنا الاسباب والمسببات لم يكن هاهنا شى يردد به على القائلين بالاتفاق اعنى الذين يقولون لا صانع هاهنا وان جميع ما حدث في هذا العالم انتما هو عن الاسباب المادية لان احد الجائزين هو احق ان يقع عن الاتفاق منه ان يقع عن فاعل مختار وذلك انة اذا قال الاعترى ان وجود احد الجائزين او الجائزات هو دال على ان هاهنا مخصوصا فاعلا كان لا ولائق ان يقولوا ان وجود الموجودات على احد الجائزين او الجائزات هو عن الاتفاق اذ الارادة انتما تفعل لمكان سبب من الاسباب والذي يكون لغير علة ولا سبب هو عن الاتفاق اذ كتنا نرى اشياء كثيرة تحدث بهذه الصفة مثل ما يعرض للاسطقطسات ان تمتزج امتراجا ما بالاتفاق فيحدث عن ذلك الامتزاج بالاتفاق موجود ما ثم تمتزج ايضا امتراجا آخر فيحدث بالاتفاق عن ذلك الامتزاج بالاتفاق موجود آخر فتكون على هذا جميع الموجودات حادثة عن الاتفاق . . . واما نحن فليبا كتنا نقول انة واحب ان يكون هاهنا ترتيب ونظام لا يمكن ان يوجد اتقن منه ولا اتم منه وان الامتزاجات محدودة مقدرة والموجودات الحادثة عنها واجبة وان هذا دائمًا لا يخل لم يمكن ان يوجد ذلك عن الاتفاق لان ما يوجد عن الاتفاق هو اقل ضرورة والى هذا الاشارة بقوله تعالى صنع الله الذي اتقن كل شى واي اتقان يمكن ليت شعري في الموجودات ان كانت على الجواز لان الجائز ليس هو اولى بالشي من ضده والى هذا الاشارة بقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور واي تفاوت اعظم من ان تكون الاشياء كلها يمكن ان توجد على صفة اخرى فووجدت على هذه ولعل تلك الصفة المعدومة افضل من الموجودة فمن زعم مثلا ان

الحركة الشرقية لو كانت غربية والغربيّة شرقية لم يكن في ذلك فرق في صنعة العالم فقد ابطل الحكمة وهو كمن زعم أنه لو كان البيهين من الحيوان شمالاً والشمال يميئنا لم يكن في ذلك فرق في صنعة الحيوان فان أحد الجائزين كما يمكن ان يقال فيه أنها وجد على احد الجائزين من فاعل مختار كذلك يمكن ان يقال انه أنها وجد عن فاعله على احد الجائزين بالاتفاق اذ كتنا نرى كثيراً من الجائزات توجد على الجائزين عن فاعليها بالاتفاق وانت تتبين ان الناس باجمعهم يرون ان المصنوعات الخسيسة هي التي يرى الناس فيها انه كان يمكن ان تكون على غير ما صنعت عليه حتى انه ربما ادت الخسارة الواقعه في كثير من المصنوعات التي بهذه الصفة ان يظن انها حدثت عن الاتفاق وانهم يرون ان المصنوعات الشريفة هي التي يرون فيها انه ليس يمكن ان تكون على هيئة اتم وافضل من الهيئة التي جعلها عليها صانعها فإذا هذا الرأي من اراء المتكلمين هو مضاد الشريعة والحكمة ومعنى ما قلناه من ان القول بالجواز هو اقرب ان يدل على نفي الصانع من ان يدل على وجوده مع انه ينفي الحكمة عنه هو انه متى لم يعقل ان هاهنا اوساطاً بين المبادئ والغايات فـى المصنوعات ترتب عليها وجود الغايات لم يكن هاهنا دلالة على ان لهذه الموجودات فاعلاً مریداً عالماً لان الترتيب والنظام وبناء المسبيبات على الاسباب هو الذى يدل على انها صدرت عن علم وحكمة واما وجود الجائز على احد الجائزين فيمكن ان يكون عن فاعل غير حكيم عن الاتفاق عنه مثل ان يقع جر على الارض عن الثقل فيه فيسقط على جهة منه دون

جهة او على موضع دون موضع او على وضع دون وضع فاداً هذا القول يلزم عنه ضرورة اما ابطال وجود الفاعل على الاطلاق واما ابطال وجود فاعل حكيم عالم تعالى الله وتقديست اسماؤه عن ذلك .. واما الذي قاد المتكلمين من الاشعرية الى هذا القول الهروب من القول بفعل القوى الطبيعية التي ربها الله في الموجودات التي هاهنا كما رب فيها النفوس وغير ذلك من الاسباب المؤثرة فهربوا من القول بالاسباب لئلا يدخل عليهم القول بان هاهنا اسباباً فاعلة غير الله وهيئات لا فاعل هاهنا الا الله اذ كان مخترع الاسباب وكونها اسباباً مؤثرة هو باذنه وحفظه لوجودها وبنبيين هذا المعنى بياناً اكثراً في مسئلة القضا والقدر وايضاً فأنهم خافوا ان يدخل عليهم من القول بالاسباب الطبيعية ان يكون العالم صادراً عن سبب طبيعى ولو علموا ان الطبيعة مصنوعة وانه لا شئ ادل على الصانع من وجود موجود بهذه الصفة في الاحكام لعلموا ان القائل بنفي الطبيعة قد اسقط جزءاً عظيماً من موجودات الاستدلال على وجود الصانع العالم بمحضة جزء من موجودات الله وذلك ان من جهد جنساً من المخلوقات الموجودات فقد جهد فعلاً من افعال الخالق سبحانه ويقرب هذا متن جهد صفة من صفاتة وبالجملة فلما كان نظر هؤلاء القوم مأخوذاً من بادى الرأى وهو الظنون التي تخطر للانسان من اول نظرة وكان يظهر في بادى الرأى ان اسم الارادة اتى يطلق على من يقدر ان يفعل الشر وضده رأوا انهم ان لم يضعوا ان الموجودات جائزة لم يقدروا ان يقولوا بوجود فاعل مريض فقالوا ان الموجودات كتها جائزة ليثبتوا من ذلك ان المبدأ الفاعل مريض كأنهم لم يروا الترتيب الذي في الامور الصناعية ضروريآ وهو مع ذلك صادر

عن فاعل مريد وهو الصانع .. وهؤلاء القوم غفلوا عما يدخل عليهم من هذا القول من نفي الحكمة عن الصانع او دخول السبب الاتفاقى فى الموجودات فان الاشياء التى تفعلها الارادة لا لمكان شى من الاشياء اعني لمكان غاية من الغايات هي عبث ومنسبة اليها الاتفاق ولو علموا كما قلنا انة يجب من جهة النظام الموجود في افعال الطبيعة ان تكون موجودة عن صانع عالم والا كان النظام فيها بالاتفاق لما احتاجوا ان ينكروا افعال الطبيعة فينكروا جندًا من جنود الله تعالى التي سخرها الله تعالى لايجاد كثير من موجودات باذنه وحفظها وذلك ان الله تبارك وتعالى اوجده موجودات باسباب سخرها لها من خارج وهي الاجسام السماوية وباسباب اوجدها في ذات تلك الموجودات وهي النفوس والقوى الطبيعية حتى انحفظ بذلك وجود الموجودات وتمت الحكمة فمن اظلم من ابطل الحكمة وانتري على الله الكذب .. فهذا مقدار ما عرض من التغير في هذه الشريعة في هذا المعنى وفي غيره من المعانى التي بينتها قبل ونبينها فيما يأتي ان شاء الله تعالى فقد تبين من هذا ان الطرق الشرعية التي نصبهما الله لعباده ليعرفوا منها ان العالم خلوق له ومصنوع هي ما يظهر فيه من الحكمة والعناية بجميع الموجودات التي فيه وبخاصة بالانسان وهي طريقة نسبتها في الظهور الى العقل نسبة الشمس في الظهور الى الحس واما الطريق التي سلك بالجمهور في تصور هذا المعنى فهو التمثيل بالشاهد وان كان ليس له مثال في الشاهد اذ ليس يمكن في الجمهور ان يتصوروا على كنهه ما ليس له مثال في الشاهد فاخبر تعالى ان العالم وقع خلقة ايام في زمان وانه خلقة من شيء اذ كان لا يعرف في الشاهد مكون الا بهذه الصفة

فقال سبحانه مخبراً عن حاله قبل كون العالم وكان عرشه على الماء وقال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وقال ثم استوى الى السماء وهي دخان الى سائر الآيات التي في الكتاب العزيز في هذا المعنى فيجب الا يتأنى شئ من هذا للجمهور ولا يعرض لتنزيله على غير هذا التمثيل فاته من غير ذلك فقد ابطل الحكمة الشرعية فاما ان يقال لهم ان عقيدة الشرع في العالم هي انه ححدث وانه خلق من غير شيء وفي غير زمان فذلك شئ لا يمكن ان يتصوره العلماء فضلاً عن الجمهور فينبغي كما قلنا الا يعدل في الشرع عن التصور الذي وضعته للجمهور ولا يصرح لهم بغير ذلك فان هذا النوع من التمثيل في خلق العالم هو الموجود في القرآن وفي التوراة وفي سائر الكتب المنزلة ومن العجب الذي في هذا المعنى ان التمثيل الذي جاء في الشرع في خلق العالم يطابق معنى الحدوث الذي في الشاهد ولكن الشرع لم يصرح فيه بهذا المفهوم وذلك تنبيه منه للعلماء على ان حدوث العالم ليس هو مثل الحدوث الذي في الشاهد وانما اطلق عليه لفظ الخلق ولفظ الفطور وهذه الالفاظ تصلح لتصور المعنيين اعني لتصور الحدوث الذي في الشاهد وتصور الحدوث الذي ادى اليه البرهان عند العلماء في الغائب فإذا استعمال لفظ الحدوث او القدم بدعة في الشرع وموضع في شبهة عظيمة تفسد عقائد الجمهور وبخاصة الجدليين منهم ولذلك عرضت اشد حيرة تكون واعظم شبهة للمتكلمين من اهل ملتنا اعني الاشعرية وذلك انه لما صرحو ان الله مرید بارادة قديمة وهذا بدعة كما قلنا ووضعوا ان العالم ححدث قيل لهم كيف يكون مراد ححدث عن اراده قديمة فقالوا ان الارادة القديمة تعلقت بايجاده في

وقت مخصوص وهو الوقت الذي وجد فيه فقيه لهم ان كانت نسبة الفاعل
المريد الى المحدث في وقت عدمه هي بعينها نسبة اليه . في وقت ايجاده
فالمحدث لم يكن وجوده في وقت وجوده اولى منه في غيره اذا لم يتعلق
بـه في وقت الوجود فعل انتفي عنه في وقت العدم وان كانت مختلفة فهناك
ارادة حادثة ضرورة والا وجـب ان يكون مفعول محدث عن فعل قديم فـانـه ما
يلزـم من ذلك في الفعل يلزم في الارادة وذلك انه يقال لهم اذا حضر الوقت
وقت وجوده فـوـجـد هـل وجـد بـفـعـل قـدـيم او بـفـعـل مـحدـث فـانـ قالـوا بـفـعـل
قـدـيم فـقد جـوـزوـا وجود المـحدـث بـفـعـل قـدـيم وـانـ قالـوا بـفـعـل مـحدـث لـزـمـهم
انـ يـكـونـ هـنـالـكـ اـرـادـةـ حـادـثـةـ فـانـ قالـوا اـرـادـةـ هـيـ نفسـ الفـعـلـ فـقدـ قالـوا
مـحـالـاـ فـانـ اـرـادـةـ هـيـ سـبـبـ الفـعـلـ فيـ المرـيدـ وـلوـ كانـ المرـيدـ اذا اـرـادـ شـيـاـ ماـ
فيـ وقتـ ماـ وـجـدـ ذـلـكـ الشـيـ عـنـدـ حـضـورـ وـقـتـهـ منـ غـيرـ فـعـلـ منهـ بـالـارـادـةـ
المـتـقـدـمـةـ لـكـانـ ذـلـكـ الشـيـ مـوـجـودـاـ عـنـ غـيرـ فـاعـلـ وـايـضاـ فـقدـ يـظـنـ انهـ انـ
كانـ وـاجـباـ انـ يـكـونـ عـنـ الـارـادـةـ حـادـثـةـ مـرـادـ حـادـثـ فـقدـ يـجـبـ انـ يـكـونـ
عـنـ الـارـادـةـ الـقـدـيمـ مـرـادـ قـدـيمـ وـالـاـ كانـ مـرـادـ الـارـادـةـ الـقـدـيمـ وـالـحـادـثـةـ
واـحـدـاـ وـذـلـكـ مـسـتـحـيـلـ فـهـذـهـ الشـبـهـ كـلـهـ فـاتـمـاـ اـشـارـهـاـ فـيـ الـاسـلـامـ اـهـلـ الـكـلـامـ
بـتـصـرـيـحـهـمـ فـيـ الشـرـعـ بـمـاـ لـمـ يـاذـنـ بـهـ اللـهـ فـاتـمـاـ لـيـسـ فـيـ الشـرـعـ اـنـ سـجـانـهـ
مـرـيدـ بـاـرـادـةـ حـادـثـةـ وـلـاـ قـدـيمـةـ فـلـاـ هـمـ فـيـ هـذـهـ اـشـيـاءـ اـتـبـعـواـ ظـواـهـرـ الشـرـعـ
فـكـانـواـ مـنـ سـعـادـتـهـ وـنجـاحـهـ بـاتـبـاعـ الـظـاهـرـ وـلـاـ هـمـ اـيـضاـ لـحـقـواـ بـمـرـتبـةـ اـهـلـ
الـيـقـيـنـ فـكـانـواـ مـنـ سـعـادـتـهـ فـيـ عـلـومـ الـيـقـيـنـ وـلـذـلـكـ لـيـسـواـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـلـاـ
مـنـ جـمـهـورـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـمـصـدـقـيـنـ وـاتـمـاـ هـمـ مـنـ الـذـيـنـ فـيـ قـلـوبـهـمـ زـيـغـ وـفـيـ
قـلـوبـهـمـ مـرـضـ فـاتـهـمـ يـقـولـونـ بـالـنـطـقـ الـخـارـجـ اـشـيـاءـ يـخـالـفـهـاـ النـطـقـ الـبـاطـنـ

منهم وسبب ذلك العصبية والمحببة وقد يكون الاعتياد لامثال هذه الاقاويل سبباً للانخلاع عن المعقولات كما نرى يعرض للذين مهروا بطريق الاشعرية وارتكاصوا بها منذ الصبا فهوّلاء لا شك محبوبون بحجاب العادة والمنشأ فهذا الذي ذكرنا من امر هذه المسئلة كاف بحسب غرضنا فلنسر الى المسئلة الثانية

المسئلة الثانية في بعث الرسل والنظر في هذه المسئلة في موضوعين
 احداهما في اثبات الرسل والموضع الثاني فيما يبيّن به ان هذا الشخص الذي يدعى الرسالة واحد منهم وأنه ليس بكاذب في دعواه فاما وجود مثل هذا الصنف من الناس فقد رأى قوم اثبات ذلك بالقياس وهم المتكلمون وقالوا قد ثبت ان الله متكلم ومريد ومالك لعباده وجائز على المتكلم المريد المالك لامر عباده في الشاهد ان يبعث رسولًا الى عباده المملوكيين فوجب ان يكون ذلك مكتنًا في الغائب وشدوا هذا الموضع بابطال المحالات التي تروم البراهمة ان تلزمها عن وجود رسول من الله قالوا واذا كان هذا المعنى قد ظهر امكان وجوده في الغائب كوجوده في الشاهد وكان ايضاً يظهر في الشاهد انه اذا قام رجل في حضرة الملك فقال ايها الناس انت رسول الملك اليكم وظهرت عليه من علامات الملك انه يجب ان يعترف بان دعوى ذلك الرسول صحيحة قالوا وهذه العلامة ظهور المجنزة على يدي الرسول وهذه الطريقة هي مقنعة وهي لايقة بالجمهور بوجه ما لكن اذا تتبع ظهر فيها بعض اختلال من قبل بعض ما يضعون في هذه الاصول وذلك انه ليس يصح تصديقنا للذى ادعى الرسالة عن الملك الا متى علمنا ان تلك العلامة التي ظهرت عليه هي علامة الرسل للملك

وذلك اما بقول الملك لاهل طاعته ان من رأيتم عليه علامه كذا من علماتي المختصة بي فهو رسول من عندي او بان يعرف من عادة الملك ان لا تظهر تلك العلامات الا على رسلي اذا كان هذا هكذا فللقائل ان يقول من اين يظهر ان ظهور المجررات على ايدي بعض الناس هي العلامات الخاصة بالرسل فانه لا يخلو ان يدرك هذا بالشرع او بالعقل وحال ان يدرك هذا بالشرع لأن الشرع لم يثبت بعد والعقل ايضا ليس ممكنا ان يحكم ان هذه العلامه هي خاصة بالرسل الا ان يكون قد ادرك وجودها مرات كثيرة للقوم الذين يعترف برسالتهم ولم تظهر على ايدي سواهم وذلك ان ثبتت الرسالة يبني على مقدمتين احداهما ان هذا المدعى الرسالة ظهرت على يديه المجررة والثانية ان كل من ظهرت على يديه مجررة فهونبي فيتولد من ذلك بالضرورة ان هذانبي فاما المقدمة القائلة ان هذا المدعى الرسالة ظهرت عليه مجررة قلنا ان نقول ان هذه المقدمة توخذ من الحس بعد ان نسلم ان هاهنا افعالا تظهر على ايدي المخلوقين نقطع قطعا انها ليست تستفاد لا بصناعة غريبة من الصافع ولا بخاصة من الخواص وان ما يظهر من ذلك ليس تخيلًا وأما المقدمة القائلة ان كل من ظهرت على يديه المجررة فهو رسول فانيا يصح بعد الاعتراف بوجود الرسل وبعد الاعتراف بانها لم تظهر قط الا على من حتح رسالته وانما قلنا ان هذه المقدمة لا تصح الا ممن يعترف بوجود الرسالة وجود المجررة لأن هذا طبيعة القول الخبرى اعني ان الذى تبرهن عنده مثلا ان العالم حدث فلا بد ان يكون عنده معلوما بنفسه ان العالم موجود وان المحدث موجود واذا كان الامر هكذا فللقائل ان يقول من

اين لنا بعّحة قولنا ان كل من ظهرت على يديه المجرة فهو رسول والرسالة لم يثبت وجودها بعد هذا ان سلمنا وجود المجرة ايضا على الصفة التي يلزم بها ان يكون مجزأ ولا بد ان يكون جزءا هذا القول اعني المبتدأ والخبر معترضاً بوجودهما قبل الاعتراف بصدق الحكم على احدهما بالثانية وليس لقاتل ان يقول ان وجود الرسل يدل عليه العقل لكون ذلك جائز في العقل فان الجواز الذي يشيرون اليه هو جهل وليس هو جواز الذي في طبيعة الموجودات مثل قولنا المطر جائز ان ينزل وان لا ينزل وذلك ان الجواز الذي هو من طبيعة الموجود هو ان يحس ان الشيء يوجد مرة ويفقد اخرى كالحال في نزول المطر فيقضى العقل حينئذ قضاء كلياً على هذه الطبيعة بالجواز والواجب ضد هذا وهو الذي يحس وجوده دائمًا فيقضي العقل قضاء كلياً وباتاً على ان هذه الطبيعة لا يمكن ان تتغير ولا ان تنقلب ولو كان الخصم قد اعترف بوجود رسول واحد في وقت من الاوقيات لظهر ان الرسالة من الامور المحاثة الوجود وأما والخصم يدعى ان ذلك لم يحس بعد فالجواز الذي يدعى به اثما جهل باحد المتقابلين اعني الامكان والامتناع والناس الذين صح منهم امكان وجود الرسل اثما صح لنا وجود هذا الامكان لأننا قد ادركنا وجود الرسل منهم الا ان نقول ان احساس وجود الرسل من الناس يدل على امكان وجودهم من الحال كما ان وجود الرسول من عمرو يدل على امكان وجوده من زيد فهذا يقتضي تساوى الطبيعتين ففيه هذا العسر وان فرضنا هذا الامكان في نفسه ولو كان في المستقبل لكان امكاناً بحسب الامر لا بحسب علمنا وأما وأحد المتقابلين من هذا الامكان قد خرج الى الوجود فانما هذا الامكان

في علينا والامر في نفسه متقرر الوجود على احد المتقابلين اعني انه ارسل او لم يرسل فليس عندنا من ذلك الا جهل فقط مثل ان شك في عمرو هل ارسل رسولا فيما سلف او لم يرسل وذلك بخلاف ما اذا شكنا فيه هل يرسل رسولا غدا او لا فاته اذا جهلنا من زيد مثلا هل ارسل رسولا فيما مضى او لم يرسل لم يصح لنا الحكم ان من ظهر علامه زيد عليه فهو له رسول الا ان يعلم ان تلك علامه رسولة وذلك بعد ان يعلم انه قد ارسل رسولا الى هذا كله فمتى سلمنا ان الرسالة موجودة والمجز موجود فمن اين يصح لنا ان من ظهر على يديه المجز فهو رسول وذلك ان هذا الحكم ليس يمكن ان يوخذ من السمع اذ السبع لا يثبت من قبل هذا الاصل فيكون من باب تعجيز الشي بنفسه وذلك فاسد ولا سبيل الى ان يدعى صحة هذه المقدمة بالتجربة والعادة الا اذا شوهدت المجازات ظاهرة على ايدي الرسل اعني من يعترف بوجود رسالتهم ولم تشاهد على ايدي غيرهم فتكون حينئذ علامه قاطعة على تمييز من هو رسول من عند الله ممن ليس برسول اعني بين من دعوه صادقة وبين من دعوه كاذبة فمن هذه الاشياء يرى ان المتكلمين ذهب عليهم هذا المعنى من وجہ دلالة المعجز وذلك انهم اقاموا الامكان مقام الوجود اعني الامكان الذي هو جهل ثم حثثوا هذه القضية اعني ان كل من وجد منه المعجز فهو رسول وليس يصح هذا الا ان يكون المعجز يدل على الرسالة نفسها وعلى المرسل وليس في قوة العقل العجيب المفارق للعوايد الذي يرى الجميع انه الا هي ان يدل على وجود الرسالة دلالة قاطعة الا من جهة ما يعتقد ان من ظهرت عليه امثال هذه الاشياء فهو فاضل والفضل لا يكذب بل انتا يدل

على ان هذا رسول اذا سلم ان الرسالة امر موجود وانه ليس يظهر هذا الحارق على يدي احد من الفاضلين الا على يدي رسول وانما كان المعجز ليس يدل على الرسالة لانه ليس يدرك العقل ارتباطاً بينهما الا ان يعترف ان المعجز فعل من افعال الرسالة كالابراء الذى هو فعل من افعال الطب فانه من ظهر منه فعل الابراء دل على وجود الطب وان ذلك طبيب فهذا احد ما في هذا الاستدلال من الوهن وايضاً فاذا اعترفنا بوجود الرسالة على ان ننزل الامكان الذى هو الجهد منزلة الوجود وجعلنا المعجزة دالة على صدق الشخص المدعى الرسالة وجب ضرورة ان لا تكون دلالتها لازمة لمن يجوز ان المعجز قد يظهر على يدي غير رسول على ما يفعله المتكلمون لأنهم يجذرون ظهورها على يدي الساحر وعلى يدي الوئي واما ما يشترطونه لمكان هذا من ان المعجز اتى يدل على الرسالة بمقارنة دعوى الرسالة له وانه لو ادعى الرسالة من شأنه ان يظهر على يديه ممن ليس برسول لم يظهر فدعوى ليس عليها دليل فان هذا غير معلوم لا بالسمع ولا بالعقل اعني انه اذا ادعى من يظهر على يديه دعوى كاذبة انه لا يظهر على يديه المعجز ولكن كما قلنا لما كان لا يظهر من المبتدع انها لا تظهر الا على يدي الفاضلين الذين يعني الله بهم وهؤلاء اذا كذبوا ليسوا فاضلين فليس يظهر على ايديهم المعجز ولكن ما في هذا المعنى من الاقناع لا يوجد فيمن يجوز ظهورها على يدي الساحر فان الساحر ليس بفضل .. فهذا ما في هذه الطريقة من الضعف ولهذا رأى بعض الناس ان الاحفظ لهذا الوضع ان يعتقد انه ليس قظير الخوارق الا على يدي الانبياء وان السحر هو تخيل ولا قلب عين ومن هؤلاء من انكر

لمكان هذا المعنى الكرامات وانت تتبين من حال الشارع صلعم انه لم يدع احداً من الناس ولا امة من الامم الى الايمان برسالته وبما جاء به بان قدم على يدي دعواه خارقاً من خوارق الانفعال مثل قلب عين من الاعيان الى عين اخري وما ظهر على يديه صلعم من الكرامات الخوارق فانها ظهرت في اثناء احواله من غير ان يتحدى بها وقد يدلّك على هذا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تخرج لنا من الارض ينبوعاً الى قوله قد سبحان ربى هل كنت الا بشراً رسولـا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون واما الذي دعا به الناس وتحداهم به هو الكتاب العزيز فقال تعالى قد لئن اجتمع الناس والجنة على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وقال فاتوا عشر سور ممثلة مفتريات اذا كان الامر هكذا فخارقة صلعم الذي تحدى به الناس وجعله دليلاً على صدقه فيما ادعي من رسالته هو الكتاب العزيز فان قيل هذا بيّن ولكن من اين يظهر ان الكتاب العزيز معجز وانه يدلّ على كونه رسولاً وانت قد بيّنت ضعف دلالة المعجز على وجود الرسالة فضلاً عن تعبيين الشخص المرسل بها مع ان الناس قد اختلفوا في جهة كون القرآن معجزة فان من رأى منهم ان المعجز من شرطه ان يكون من غير جنس الانفعال المعتادة وكان القرآن من جنس الانفعال المعتادة عنده اذ هو كلام وان كان يفضل جميع الكلام المصنوع قال انما صار معجزاً بالصرف اعني يمنع الناس عن ان يأتوا بمثله لا بكونه في الطور العالى من الفصاحة اذ ما شأنه ان يكون هكذا فانها يخالف المعتاد بالاكثر لا بالجنس وما يختلف بالاقل والاكثر فهو من جنس واحد وقوم رأوا انه معجز بنفسه لا

بالصرف ولم يشترطوا في كون المفارق أن يكون مخالفًا بالجنس للفعال المعتادة ورأوا آنَّه يكفي في ذلك أن يكون من الأفعال المعتادة في غاية يقصر عنها جميع الناس قلنا هذا كله كما ذكر المفترض وليس الامر في هذا على ما توقّع هؤلاء فكون القرآن دلالة على صدق نبوة عليه السالم ينبغي عندنا على أصلين قد نبأ به عليهما الكتاب أحدهما أنَّ الصنف الذين يستمرون رسلًا وأنبياء معلوم وجودهم بنفسه وإنَّ هذا الصنف من الناس هم الذين يضعون الشرائع للناس بمحض من الله لا بتعلم إنساني وذلك آنَّه ليس ينكر وجودهم الآء من انكر وجود الأمور المتواترة كوجود سائر الانواع التي لم نشاهدتها والأشخاص المشهورين بالحكمة وغيرها وذلك آنَّه قد اتفقت الفلسفه وجميع الناس الآء من لا يعبأ بقوله ولم الدهرية على أنَّها عاهنا اشخاصاً من الناس يوحى إليهم بأن ينهوا إلى الناس أموراً من العلم والأفعال الجميلة بها تتم سعادتهم وينهون عن اعتقادات فاسدة وانفعال قبيحة وهذا هو فعل الانبياء والاصل الثاني ان كل من وجد عنه هذا الفعل الذي هو وضع الشرائع بمحض من الله تعالى فهونبيٌ وهذا الاصل ايضاً غير مشكوك فيه في الفطر الإنسانية فأنَّه كما أنَّ من المعلوم بنفسه أنَّ فعل الطبت هو الإبراء وإن من وجد منه الإبراء فهو طبيب كذلك ايضاً من المعلوم بنفسه أنَّ فعل الانبياء عليهم السلام هو وضع الشرائع بمحض من الله وإن من وجد منه هذا الفعل فهونبيٌ فاما الاصل الأول فقد نبأ عليه الكتاب العزيز في قوله تعالى آنَا اوحيينا اليك كما اوحيينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله وكلم الله موسى تكليمياً وقوله تعالى قل ما كنت بدعاً من الرسل واما الاصل الثاني وهو انَّ محدداً

صلعم قد وُجد منه فعل الرسل وهو وضع الشرائع للناس بوجى من الله فيعلم من الكتاب العزيز ولذلك نبأ على هذا الاصل فقال يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً يعني القرآن وقال يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وقال تعالى لكن الراشدون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وقال لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً فان قيل من اين يعلم الاصل الاول وهو ان هاهنا صنفاً من الناس يضعون الشرائع بوجى من الله وكذلك من اين يعلم الاصل الثاني وهو ان ما تضمن القرآن من الاعتقادات والاعمال بوجى من الله قيل اما الاصل الاول فيعلم بما ينذرون به من وجود الاشياء التي لم توجد بعد فتخرج الى الوجود على الصفة التي انذروا بها وفي الوقت الذي انذروا وبما يأمرؤن به من الافعال وبينتهم عليه من العلوم التي ليست تشبيه المعرفات والاعمال التي تدرك فتعلم وذلك ان الخارق للمعتاد اذا كان خارقاً في المعرفة بوضع الشرائع دل على ان وضعها لم يكن بتعلم وانما كان بوجى من الله وهو المستى نبأة واما الخارق الذي هو ليس في نفس وضع الشرائع مثل انفلات البحر وغير ذلك فليس يدل دلالة ضرورة على هذه الصفة المسماة نبأة وانما تدل اذا اقترفت الى الدلالة الاولى واما اذا اقتت مفردة فليس تدل على ذلك ولذلك ليس تدل في الاوليات على هذا المعنى ان وجدت لهم لأن الصنف الآخر من الخارق وهو الدال دلالة قطعية ليس هو موجوداً لهم فعلى هذا ينبغي ان تفهم الامر في دلالة المجز على الانبياء اعني ان المجز في العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة

النبيّة وأما المجز في غير ذلك من الافعال فشاهد لها ومقتُّع فقد تبيّن لك أنّ هذا الصنف من الناس موجودون ومن اين وقع العلم للناس بوجودهم حتى نقل وجودهم اليها نقل تواتر كما نقل اليها وجود الحكمة والحكمة وغير ذلك من اصناف الناس فان قيل فمن اين يدلّ القرآن على انة خارق ومجز من نوع الخارق الذي يدلّ دلالة قطعية على صفة النبيّة اعني الخارق الذي في فعل النبيّة الذي يدلّ عليها كما يدلّ الابراء على صفة الطب الذي هو فعل الطب قلنا يوقف على ذلك من وجوه احدها ان يعلم ان الشرائع التي تضمنها من العلم والعمل ليست ممّا يمكن ان يكتسب بتعلم بل بوحي والثاني ما تضمن من الاعلام بالغيب والثالث من نظمه الذي هو خارج عن النظم الذي يكون بتفكير وروية اعني انه يعلم انة من غير جنس البلوغ المتكلّمين بلسان العرب سواء من تكلّم منهم بذلك بتعلم وصناعة وهم الذين ليسوا باعراب او من تكلّم بذلك من قبل المنشأ عليه وهم العرب الاول والمعتمد في ذلك على الوجه الاول فان قيل فمن اين يعرف ان الشرائع التي فيها العلميّة والعلميّة هي بوحي من الله تعالى حتى استحق بذلك ان يقال فيه انة كلام الله قلنا يوقف على هذا من طرق احدها ان معرفة وضع الشرائع ليس تنال الا بعد المعرفة بالله وبالسعادة الإنسانية والشقاء الإنساني وبالامور الإراديات التي يتوصّل بها الى السعادة وهي الخيرات والحسنات وما الامور التي تعوق عن السعادة وتورث الشقاء الأخرى وهي الشرور والسيّئات ومعرفة السعادة الإنسانية والشقاء الإنساني تستدعي معرفة ما هي النفس وما جوهرها وهل لها سعادة اخراویة وشقاء اخراوی ام لا وان كان فما مقدار هذه السعادة وهذا الشقاء وايضاً فيبالي

مقدار تكون الحسنات سببا للسعادة فانه كما ان الاغذية ليست تكون سببا للصحة باى مقدار استعملت وفي اى وقت استعملت بل بمقدار مخصوص ووقت مخصوص وكذلك الامر في الحسنات والسيّات ولذلك نجد هذه كلها محدودة في الشرائع وهذا كله او معظمها ليس يتبيّن الا بحث او يكون تبيينه بالوحى افضل وايضا فان معرفة الله على التمام انتا تحصل بعد المعرفة بجميع الموجودات ثم يحتاج الى هذا كله واضح الشرائع ان يعرف مقدار ما يكون به الجمهور سعيدا من هذه المعرفة واى الطرق هي الطرق التي ينبغي ان تسلك بهم في هذه المعارف وهذا كله بل اكثرا ليس يدرك بتعلم ولا بصناعة ولا حكمة وقد يعرف ذلك على اليقين من زاول العلوم وبخاصة وضع الشرائع وتقرير القوانين والاعلام باحوال المعاد ولما وجدت هذه كلها في الكتاب العزيز على انت ما يمكن علم ان ذلك بحث من عند الله وانه كلامه القاه على لسان نبيه ولذلك قال تعالى منبها على هذا قل لئن اجتمع الناس والجنة على ان يأتوا بشمل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية ويتناقض هذا المعنى بل يصير الى حد القطع واليقين التام اذا علم انه صلعم كان امياً نشأ في امة امية عامية بدوية لم يمارسوا العلوم قط ولا نسب اليهم علم ولا تداولوا الفحص عن الموجودات على ما جرت به عادة اليونانيين وغيرهم من الامم الذين كملت الحكمة فيهم في الاحقاب الطويلة والى هذا الاشارة بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمنيك اذا لاراتب المبطلون ولذلك انتي الله تعالى على عباده بوجود هذه الصفة في رسوله في غير ما آية من كتابه فقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم الآية وقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية وقد

يوقف على هذا المعنى بطريق آخر وهو مقاييسه هذه الشريعة بسائر الشرائع وذلك انه ان كان فعل الانبياء الذين هم به انبياء ائمها هو وضع الشرائع بحوى من الله تعالى على ما تقرر الامر في ذلك من الجميع اعني القائلين بالشرياع بوجود الانبياء صلوات الله عليهم فانه اذا توصل ما تضمنته الكتاب العزيز من الشرياع المفيدة للعلم والعمل المفیدین للسعادة مع ما تضمنته سائر الكتب والشرياع وجدت تفضل في هذا المعنى سائر الشرياع بقدر غير متناسب وبالجملة فان كانت ها هنا كتب واردة في شرائع استنادت ان يقال انها كلام الله لغراحتها وخروجها عن جنس كلام البشر ومفارقتها بما تضمنت من العلم والعمل فظاهر ان الكتاب العزيز الذي هو القرآن هو اولى بذلك واحرى اضعافاً مضاعفة وانت فيلوج لك هذا جداً ان كنت وقفت على الكتب اعني التوراة والانجيل فانه ليس يمكن ان تكون كلها قد تغيرت ولو ذهبنا لنبيين فضل شريعة على شريعة وفضل الشريعة المنشورة لنا عشر المسلمين على سائر الشرياع المنشورة لليهود والنصارى وفضل التعليم الموضوع لنا في معرفة الله ومعرفة المعاد ومعرفة ما بينهما لاستدعي ذلك مجلدات كثيرة مع اعترافنا بالقصور عن استيفاء ذلك ولهذا قيل في هذه الشريعة انها خاتمة الشرياع وقال عليه السلام لو ادركني موسى ما وسعه الا اتبعني وصدق صلعم ولعموم التعليم الذي في الكتاب العزيز وعموم الشرياع التي فيها اعني كونها مساعدة للجميع كانت هذه الشريعة عامة لجميع الناس ولذلك قال تعالى قد يا ايها الناس انت رسول الله اليكم جميعاً وقال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود فانه يشبه ان يكون الامر في الشرياع كلام في الاغذية وذلك انه كما ان من الاغذية اغذية تلائم

جميع الناس او الاكثر كذلك الامر في الشرائع فلهذا المعنى كانت الشرائع التي قبل شريعتنا هذه ائمها خص بها قوم دون قوم وتكلفت شريعتنا هذه عامة لجميع الناس ولما كان هذا كله ائمها فضل فيه صلی الله عليه وسلم للانبياء لاته فضلهم في الوحي الذي به استحق النبي اسم النبوة قال عليه السلام منتها على هذا المعنى الذي خصه الله به ما من نبیٰ من الانبياء الا وقد اوتى من الآيات ما على مثلك امن اکثرهم تبعاً يوم القيمة واذا كان هذا اوتينته وحیاً واتی لارجو ان اكون اکثرهم تبعاً يوم القيمة كلہ كما وصفنا فقد تبیین لك ان دلالة القرآن على نبوته صلعم ليست هي مثل دلالة انقلاب العصا حیة على نبوة موسی عليه السلام ولا احياء الموتی على نبوة عیسیٰ وابراء الاکمة والابوص فان تلك وان كانت افعالاً لا تظهر الا على ایدی الانبياء وهي مقنعة عند الجمهور فليست تدل دلالة قطعیة اذا انفردت اذ كانت ليست فعلاً من افعال الصفة التي بها سُنّ النبي نبیٰ واما القرآن فدلالة على هذه الصفة هي مثل دلالة ابراء على الطب ومثال ذلك لو ان شخصین ادعیا الطب فقال احدھما الدليل على انى طبيب انى اسیر على الماء وقال الآخر الدليل على انى طبيب انى ابری المرضي فمشی ذلك على الماء وابراً هذا المرضي لكن تصدیقنا بوجود الطب للذی ابراً المرضی ببرهان وتصدیقنا بوجود الطب للذی مشی على الماء مقنعاً ومن طريق الاولى والاخرى ووجه الظن الذي يعرض للجمهور في ذلك ان من قدر على المشی على الماء الذي ليس من صنع البشر فهو اخری ان يقدر على الابراء الذي هو من صنع البشر وكذلك وجہ الارتباط الذي بين المجز الذي ليس هو من افعال الصفة والصفة التي استحق بها

النبي ان يكون نبياً التي هي الوحي ومن هذه الصفة هو ما يقع في النفس ان من اقدرة الله على هذا الفعل الغريب وخصة به من سائر اهل وقته فليس يبعد عليه ما يدعية من انه قد آتاه الله بوحية وبالجملة متى وضع ان الرسل موجودون وان الافعال الخارقة لا توجد الا منهم كان المجز دليلا على تصديق النبي اعني المجز البراني الذي لا يناسب الصفة التي بها سمى النبي نبياً ويشبه ان يكون التصديق الواقع من قبل المجز البراني هو طريق الجم眾 فقط والتصديق من قبل المجز المناسب طريق مشترك للجمهور والعلماء فان تلك الشكوك والاعتراضات التي وجهناها على المجز البراني ليس يشعر بها الجمهور لاسن الشرع اذا توهم وجد انه ائما اعتمد المجز الاهلي والمناسب لا المجز البراني وهذا الذي قلناه في هذه المسئلة كاف بحسب غرضنا وكاف بحسب الحق في نفسه

المسألة الثالثة في القضاء والقدر وهذه المسئلة من اعومن المسائل الشرعية وذلك انه اذا توهم دلائل السمع في ذلك وجدت متعارضة وكذلك حجج العقول اما تعارض ادلة السمع في ذلك فموجود في الكتاب والسنة اما في الكتاب فانه تلفي فيه آيات كثيرة تدل بعمومها على ان كل شئ بقدر وان الانسان مجبور على افعاله وتلفي فيه آيات كثيرة تدل على ان للانسان اكتسابا بفعله وانه ليس مجبورا على افعاله اما الآيات التي تدل على ان الامور كلها ضرورية وانه قد سبق القدر منه قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وقوله وكل شئ عندك بمقدار وقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في اذفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير الى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى واما الآيات التي تدل على

ان للانسان اكتساباً على ان الامر في انفسها ممكنته لا واجبة فمثلك قوله تعالى او يوبيهـن بما كسبوا ويفـع عن كثـير قوله تعالى ذلك بما كسبـت ايديـكم وقولـه تعالى والذـين كسبـوا السـيـات وقولـه لها ما كسبـت وعليـها ما اكتسبـت وقولـه واما ثمـود فهدـينـا هـم فاستـحبـوا العـى على الـهدـى وربـما ظـهرـ في الآية الواحدة التـعارض في هـذا المعـنى مثلـ قوله تعالى اولـما اصـابـتـكم مـصـيبة قد اصـبـتم مـثـلـيها قـلتـم اـنـى هـذا قـلـ هو من عـند اـنـفسـكـم ثـمـ قالـ في هـذه النـازـلة بـعيـنـها وما اصـابـكـم يـومـ النـقـى الجـمـيعـانـ فـبـاذـنـ اللـهـ ومـثـلـ ذلكـ قولهـ تعالىـ ما اصـابـكـ من حـسـنةـ فـمـنـ اللـهـ وما اصـابـكـ من سـيـئـةـ فـمـنـ نـفـسـكـ وقولـهـ قـلـ كـلـ من عـندـ اللـهـ وكـذـلـكـ تـلـفـيـ الـاحـادـيـثـ في هـذا ايـضاـ مـتـعـارـضـةـ مثلـ قولهـ عـلـيـهـ السـلـامـ كـلـ مـولـودـ يـولـدـ عـلـىـ الفـطـرـةـ فـابـوـاهـ يـهـودـانـهـ اوـ يـنـصـرانـهـ ومـثـلـ قولهـ عـلـيـهـ السـلـامـ خـلـقـتـ هـوـلـاهـ لـجـنـةـ وـبـاعـمـالـ اـهـلـ الجـنـةـ يـعـمـلـونـ وـخـلـقـتـ هـوـلـاهـ لـنـارـ وـبـاعـمـالـ اـهـلـ النـارـ يـعـمـلـونـ فـانـ الحـدـيـثـ الاـوـلـ يـدـلـ عـلـىـ اـنـ سـبـبـ الـكـفـرـ اـنـهـ هوـ المـنـشـأـ عـلـيـهـ وـانـ الـاـيـمـانـ سـبـبـ جـبـلـةـ الـاـنـسـانـ وـالـثـانـيـ يـدـلـ عـلـىـ اـنـ المـعـصـيـةـ وـالـكـفـرـ هـمـ خـلـوقـانـ لـلـهـ وـانـ الـعـبـدـ مـجـبـورـ عـلـيـهـمـاـ وـلـذـلـكـ اـفـتـرـقـ الـمـسـلـمـونـ فيـ هـذـاـ المعـنىـ إـلـىـ فـرـقـتـيـنـ فـرـقةـ اـعـتـقـدـتـ اـنـ اـكـتـسـابـ الـاـنـسـانـ هوـ سـبـبـ المـعـصـيـةـ وـالـحـسـنـةـ وـانـ لـمـكـانـ هـذـاـ تـرـتـبـ عـلـيـهـ الـعـقـابـ وـالـثـوـابـ وـمـمـ الـمـعـتـزـلـةـ وـفـرـقـةـ اـعـتـقـدـتـ نـقـيـضـ هـذـاـ وـهـوـ اـنـ الـاـنـسـانـ مـجـبـورـ عـلـىـ اـفـعـالـهـ وـمـقـهـورـ وـمـجـبـرـةـ وـاماـ الـاشـعـرـيـةـ فـانـهـمـ رـامـواـ انـ يـاتـواـ بـقـولـ وـسـطـ بـيـنـ الـقـوـلـيـنـ فـقـالـواـ اـنـ لـلـاـنـسـانـ كـسـبـاـ وـانـ اـمـكـتـسـبـ بـهـ وـالـمـكـسـبـ خـلـوقـانـ لـلـهـ تـعـالـىـ وـهـذـاـ لـاـ مـعـنـىـ لـهـ فـانـهـ اـذـاـ كـانـ اـلـاـكـتـسـابـ وـالـمـكـتـسـبـ خـلـوقـاـ لـلـهـ سـبـحـانـهـ فـالـعـبـدـ وـلـاـ بـدـ مـجـبـورـ عـلـىـ اـكـتـسـابـهـ فـهـذـاـ هـوـ اـحـدـ

أسباب الاختلاف في هذه المسألة وللاختلاف كما قلنا سبب آخر سوى السمع وهو تعارض الأدلة العقلية في هذه المسألة وذلك أنه اذا فرضنا أن الإنسان موحد لافعاله وخالق لها وجب أن يكون هاهنا افعال ليس تجري على مشيئة الله تعالى ولا اختياره فيكون هاهنا خالق غير الله قالوا وقد اجمع المسلمون على أنه لا خالق الا الله سبحانه وان فرضناه ايضا غير مكتسب لافعاله وجب أن يكون حبوباً عليها فإنه لا وسط بين الجبر والاكتساب وإذا كان الإنسان حبوباً على افعاله فالتكليف هو من باب ما لا يطاق وإذا كلف الإنسان ما لا يطيق لم يكن فرق بين تكليفة وتكليف الحماد لأنَّ الحماد ليس له استطاعة وكذلك الإنسان ليس له فيما لا يطيق استطاعة ولهذا صار الجمهور إلى أن الاستطاعة شرط من شروط التكليف كالعقل سواء ولهذا نجد أبا المعالي قد قال في النظمية إنَّ للإنسان اكتساباً لافعاله واستطاعة على الفعل وبناه على امتناع تكليف ما لا يطاق لكن من غير الجهة التي منعته المعتزلة وأماماً قد ماء الأشعرية فجذروا تكليف ما لا يطاق هرباً من الأصل الذي من قبله نفته المعتزلة وهو كونه قبيحاً في العقل وخالفهم المتأخرون منهم وأيضاً فإنه اذا لم يكن للإنسان اكتساب كان الامر بالاهبة لما يتوقع من الشرور لا معنى له وكذلك الامر باجتناب الخيرات فتبطل ايضاً الصنائع كلها التي المقصود منها ان تجتنب الخيرات كصناعة الفلاحه وغير ذلك من الصنائع التي يطلب بها المنافع وكذلك تبطل جميع الصنائع التي يقصد بها الحفظ ودفع المضار كصناعة الحرب والملاحة والطب وغير ذلك وهذا كله خارج عن عقله الإنسان . . . فان قيل اذا كان الامر هكذا فكيف يجمع بين هذا التعارض الذي يوجد

فـ المسـمـوـعـ نـفـسـهـ وـفـيـ الـمـعـقـولـ نـفـسـهـ قـلـنـاـ الـظـاهـرـ مـنـ مـقـصـدـ الشـرـعـ لـيـسـ هـوـ تـفـرـيقـ هـذـيـنـ الـاعـتـقـادـيـنـ وـأـتـمـاـ تـصـدـهـ الـجـمـعـ بـيـنـهـمـاـ عـلـىـ التـوـسـطـ الـذـيـ هـوـ الـحـقـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـئـلـةـ وـذـلـكـ أـتـهـ يـظـهـرـ أـنـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ قـدـ خـلـقـ لـنـاـ قـوـىـ نـقـدـرـ بـهـاـ اـنـ نـكـتـسـبـ اـشـيـاءـ هـيـ اـضـدـادـ لـكـنـ لـمـاـ كـانـ اـلـاـكـتسـابـ لـتـلـكـ اـلـشـيـاءـ لـيـسـ يـتـمـ لـنـاـ أـلـاـ بـمـوـاتـةـ اـلـاسـبـابـ التـىـ سـخـرـهـاـ اللـهـ لـنـاـ مـنـ خـارـجـ وـزـوـالـ الـعـوـاقـقـ عـنـهـاـ كـانـتـ اـلـافـعـالـ الـمـنـسـوـبـةـ الـيـنـاـ تـتـمـ بـالـاـمـرـيـنـ جـمـيـعـاـ وـاـذـاـ كـانـ ذـلـكـ كـذـلـكـ فـالـافـعـالـ الـمـنـسـوـبـةـ الـيـنـاـ اـيـضاـ يـتـمـ فـعـلـهـاـ بـاـرـادـتـنـاـ وـمـوـافـقـةـ اـلـافـعـالـ التـىـ مـنـ خـارـجـ لـهـاـ وـهـىـ الـمـعـبـرـ عـنـهـاـ بـقـدـرـ اللـهـ وـهـذـهـ اـلـاسـبـابـ التـىـ سـخـرـهـاـ اللـهـ مـنـ خـارـجـ لـيـسـتـ هـىـ مـتـمـيـةـ لـلـاـفـعـالـ التـىـ فـرـومـ فـعـلـهـاـ اوـ عـائـقـةـ عـنـهـاـ فـقـطـ بـلـ وـهـىـ السـبـبـ فـيـ اـنـ نـرـيدـ اـحـدـ الـمـتـقـابـلـيـنـ فـاـنـ اـلـاـرـادـةـ اـتـمـاـ هـىـ شـوـقـ يـجـدـتـ لـنـاـ عـنـ تـخـيـلـ ماـ اوـ تـصـدـيقـ بـشـىـ وـهـذـاـ التـصـدـيقـ لـيـسـ هـوـ لـاـخـتـيـارـنـاـ بـلـ هـوـ شـىـ يـعـرـضـ لـنـاـ عـنـ الـاـمـرـ التـىـ مـنـ خـارـجـ مـثـالـ ذـلـكـ اـتـهـ اـذـاـ وـرـدـ عـلـيـنـاـ اـمـرـ مـشـتـهـىـ مـنـ خـارـجـ اـشـتـهـيـاـهـ بـالـفـسـرـودـةـ مـنـ غـيـرـ اـخـتـيـارـ فـتـحـرـكـنـاـ الـيـهـ وـكـذـلـكـ اـذـاـ طـرـأـ عـلـيـنـاـ اـمـرـ مـهـرـوبـ عـنـهـ مـنـ خـارـجـ كـرـهـنـاـهـ بـاـضـطـرـارـ فـهـرـبـنـاـ مـنـهـ وـاـذـاـ كـانـ هـكـذـاـ فـارـادـتـنـاـ حـفـوظـةـ بـالـاـمـرـ التـىـ مـنـ خـارـجـ وـمـرـبـوـطـةـ بـهـاـ وـاـلـىـ هـذـاـ اـلـاـشـارـةـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ لـهـ مـعـقـبـاتـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـمـنـ خـلـفـهـ يـحـفـظـونـهـ مـنـ اـمـرـ اللـهـ وـلـمـاـ كـانـ اـلـاسـبـابـ التـىـ مـنـ خـارـجـ تـجـرـىـ عـلـىـ نـظـامـ مـحـدـودـ وـتـرـقـيـبـ مـنـضـودـ لـاـ تـخـلـ فـيـ ذـلـكـ بـحـسـبـ مـاـ قـدـرـهـاـ بـاـرـئـهـاـ عـلـيـهـ وـكـانـتـ اـرـادـتـنـاـ وـاـفـعـالـنـاـ لـاـ تـتـمـ وـلـاـ تـوـجـدـ بـالـجـمـلـةـ اـلـاـ بـمـوـافـقـةـ اـلـاسـبـابـ التـىـ مـنـ خـارـجـ فـوـاجـبـ اـنـ تـكـوـنـ اـفـعـالـنـاـ تـجـرـىـ عـلـىـ نـظـامـ مـحـدـودـ اـعـنـىـ اـتـهـاـ تـوـجـدـ فـيـ اـوـقـاتـ مـحـدـودـةـ وـمـقـدـارـ مـحـدـودـ وـاـنـمـاـ كـانـ ذـلـكـ وـاجـباـ

لأن افعالنا تكون مسببة عن تلك الاسباب التي من خارج وكل مسبب يكون عن اسباب محدودة مقدرة فهو ضرورة محدود مقدر وليس يلفي هذا الارتباط بين افعالنا والاسباب التي من خارج فقط بل وبينها وبين الاسباب التي خلقها الله تعالى في داخل ابداننا والنظام المحدود الذي في الاسباب الداخلة والخارجة اعني التي لا تخل هو القضا والقدر الذي كتبه الله تعالى على عباده وهو اللوح المحفوظ وعلم الله تعالى بهذه الاسباب وبما يلزم عنها هو العلة في وجود هذه الاسباب ولذلك كانت هذه الاسباب لا يحيط بمعرفتها الا الله وحده ولذلك كان هو العالم بالغيب وحده وعلى الحقيقة كما قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وإنما كانت معرفة الاسباب هو العلم بالغيب لأن الغيب هو معرفة وجود الموجود في المستقبل او لا وجوده ولما كان ترتيب الاسباب ونظامها هو الذي يقتضي وجود الشيء في وقت ما او عدمه في ذلك الوقت وجب ان يكون العلم بأسباب شيء ما هو العلم بوجود ذلك الشيء وعدمه في وقت ما والعلم بالاسباب على الاطلاق هو العلم بما يوجد منها او ما يعدم في وقت من اوقات جميع الزمان فسبحان من احاط اختراعاً وعلماً بجميع اسباب جميع الموجودات وهذه هي مفاتيح الغيب المعنية في قوله تعالى وعنه مفاتيح الغيب لا يعلمه الا هو الآية اذا كان هذا كله كما وصفنا فقد تبيّن لك كيف لنا اكتساب وكيف جميع مكتسباتنا بقضاء وقدر سابق وهذا الجمع هو الذي قصد الشرع بتلك الآيات العامة والاحاديث التي يظن بها التعارض وهي اذا خصصت عموماتها بهذا المعنى انتفى عنها التعارض وبهذا ايضا تتحلل جميع الشكوك التي قيلت في ذلك اعني

الحجج المتعارضة العقلية اعني ان كون الاشياء الموجودة عن ارادتنا يتم وجودها بالامرين جميعا اعني بارادتنا وبالاسباب التي من خارج فادا فسبت الافعال الى واحد من هذين على الاطلاق لحقت الشكوك المتقدمة فان قيل هذا جواب حسن يوافق الشرع فيه العقل لكن هذا القول هو مبني على ان هاهننا اسبابا فاعلة لمسببات مفعولة وال المسلمين قد اتفقوا على ان لا فاعل الا الله قلنا ما اتفقا عليه صحيح ولكن على هذا جوابان احدهما ان الذى يمكن ان يفهم من هذا القول هو احد امررين اما انه لا فاعل الا الله تبارك وتعالى وان ما سواه من الاسباب التى يسخرها ليست تسمى فاعلة الا مجازا اذ كان وجودها اثما هو به وهو الذى صيرها موجودة اسبابا بل هو الذى يحفظ وجودها في كونها فاعلة ويحفظ مفعولاتها بعد فعلها ويختبر جواهرها عند اقتران الاسباب بها وكذلك يحفظها هو في نفسها ولولا الحفظ الالاهي لها لما وجدت زمانا مشارا اليه اعني لما وجدت في اقل زمان يمكن ان يدرك انه زمان وابو حامد يقول ان مثال من يشرك سببا من الاسباب مع الله تعالى في اسم الفاعل والفعل مثال من يشرك في فعل الكتابة القلم مع الكاتب اعني ان يقول ان القلم كاتب وان الانسان كاتب اي كما ان اسم الكتابة مقول باشتراك الاسم عليهم اعني انهم معنيان لا يشتركان الا في اللفظ فقط وهما في افسهما في خالية التباين كذلك الامر في اسم الفاعل اذا اطلق على الله تعالى وتبارك واذا اطلق على سائر الاسباب ونحن نقول ان في هذا التمثيل تساحجا وانما كان يكون التمثيل بيئنا لو كان الكاتب هو المخترع لجوهر القلم والحافظ له ما دام قليلا ثم الحافظ للكتابة بعد الكتب والمخترع لها عند اقتران القلم

بها على ما سنبينه بعد من ان الله تعالى هو المخترع لجوائز جميع الاشياء التي تقترب بها اسبابها التي جرت العادة ان يقال انها اسباب لها فهذا الوجه المفهوم من انه لا قادر الا الله هو مفهوم يشهد له الحس والعقل والشرع اما الحس والعقل فإنه يرى ان هاهننا اشياء تتولد عنها اشياء وان النظام الجارى في الموجودات اذما هو من قبل امررين احدهما ما ركب الله فيها من الطبائع والنفوس الثاني من قبل ما احاط بها من الموجودات من خارج واشهر هذه هي حركات الاجرام السماوية فإنه يظهر ان الليل والنهار والشمس والقمر وسائر النجوم متحركة لنا وانه لمكان النظام والترتيب الذي جعله الخالق في حركاتها كان وجودنا وجود ما هاهننا محفوظا بها حتى انه لو توقف ارتفاع واحد منها او توقف في غير موضعه او على غير قدرة او في غير السرعة التي جعل الله فيه لبطلت الموجودات التي على وجه الارض وذلك بحسب ما جعل الله في طباعها من ذلك وجعل في طباع ما هاهننا ان تتأثر عن تلوك وذلك ظاهر جدا في الشمس والقمر اعني تأثيرها فيما هاهننا وذلك بين في المياه والرياح والامطار والبحار وبالحملة في الاجسام المحسوسة واكثر ما يظهر ضرورة وجودها في حياة النبات وفي كثير من الحيوان بل في جميع الحيوان باسره وايضا فإنه يظهر انه لو لا القوى التي جعلها الله في اجسامنا من التغذى والاحساس لبطلت اجسامنا كما نجد جالينوس وسائر الحكماء يعترفون بذلك ويقولون لو لا القوى التي جعلها الله في اجسام الحيوان مدببة لها لما امكن في اجسام الحيوان ان تبقى ساعة واحدة بعد ايجادها ونحن نقول انه لو لا القوى التي في اجسام الحيوان والنبات والقوى السارية في هذا العالم من حركات الاجرام السماوية لما امكن ان تبقى

اصلًا ولا طرفة عين فسبحان اللطيف الخبير وقد نبأه الله تعالى على ذلك في غير ما آية من كتابه فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر وقوله تعالى قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرموا الى يوم القيمة الآية وقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبغوا من فضله وقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه وقوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار الى غير ذلك من الآيات التي في هذا المعنى ولو لم يكن لهذه تأثير فيما هاهنا لما كان وجودها حكمة امتن بها علينا ولا جعلت من النعم التي يخصنا شكرها وأما الجواب الثاني فانا نقول ان الموجودات الحادثة منها ما هي جواهر واعيان ومنها ما هي حركات وسخونة وببرودة وبالجملة اعراض فاما الجواهر والاعيان فليس يكون اختراعها الا عن الخالق سبحانه وما يقتربن بها من الاسباب فانما يتوثر في اعراض تلك الاعيان لا في جواهرها مثال ذلك ان المنى ائما يفيد من المرأة او دم الطمث حرارة فقط واما خلقة الحنيف ونفسه التي هي الحياة فانما المعنى لها الله تبارك وتعالى وكذلك الفلاح ائما يفعل في الارض تخميرًا او اصلاحًا ويبذر فيها الحب واما المعنى لخلقة السنبلة فهو الله تبارك وتعالى فاذًا على هذا لا خالق الا الله تعالى اذ كانت المخلوقات في الحقيقة هي الجواهر والى هذا المعنى اشار بقوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين قدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وهذا هو الذي رام ان يغالط فيه الكافر ابراهيم عليه السلام حين قال انا احيي واميت فلدي راي ابراهيم عم انه لا يفهم

هذا المعنى انتقل معه الى دليل قطعة به فقال فات الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وبالجملة فادا فهم الامر هكذا في الفاعل والخالق لم يعرض من ذلك تعارض لا في السمع ولا في العقل ولذلك ما نرى ان اسم الخالق اخص بالله تعالى من اسم الفاعل لأن اسم الخالق لا يشركة فيه المخلوق لا باستعارة قريبة ولا بعيدة اذ كان معنى الخالق هو المخترع للجواهر ولذلك قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وينبغي ان تعلم ان من جد كون الاسباب مؤثرة باذن الله في مسبباتها انه قد ابطل الحكمة وابطل العلم وذلك ان العلم هو معرفة الاشياء بأسبابها والحكمة هي المعرفة بالأسباب الغائبة والقول بانكار الاسباب جملة قول غريب جدا عن طباع الناس والقول بنفي الاسباب في الشاهد ليس له سبييل الى اثبات سبب فاعل في الغائب لأن الحكم على الغائب من ذلك ائمما يكون من قبل الحكم بالشاهد فهو لا سبييل لهم الى معرفة الله تعالى اذ يلزمهم الا يعترفوا بأن كل فعل له فاعل واذا كان هذا هكذا فليس يمكن من اجماع المسلمين على انه لا فاعل الا الله سبحانه ان يفهم نفي وجود الفاعل في الشاهد اذ من وجود الفاعل في الشاهد استدللنا على وجود الفاعل في الغائب لكن لما تقرر عندنا الغائب تبيين لنا من قبل المعرفة بذاته ان كل ما سواه فاعلا الا باذنه وعن مشيئته فقد تبيين من هذا على اى وجه يوجد لنا اكتساب وان من قال باحد الطرفين من هذه المسئلة فهو مخطئ كالمعتزلة والجبرية واما المتوسط الذي قرر الاشعرية ان تكون هي صاحبة الحق بوجوده فليس له وجود اصلا اذ لا يجعلون للانسان من اسم الاكتساب الا الفرق الذي يدركه الانسان بين حركة يده عن الرعشة

وتحريك يده باختيارة فاته لا معنى لاعتراضهم بهذا الفرق اذا قالوا ان الحركتين ليستا من قبلنا لاته اذا لم تكن من قبلنا فليس لنا قدرة على الامتناع منها فنحن مضطرون فقد استوت حركة الرعشة والحركة التي يسمونها كسبية في المعنى ولم يكن هنالك فرق الا في اللفظ فقط والاختلاف في اللفظ ليس يوجب حكمًا في الذوات وهذا كله بين بنفسه فلنسر الى ما بقى علينا من المسائل التي وعدناها

المسئلة الرابعة في الجور والعدل وقد ذهبت الاشورية في العدل والجور في حق الله سبحانه الى رأى غريب جدا في العقل والشرع اعني انها صرحت من ذلك بمعنى لم يصرح به الشرع بل صرخ بضدّه وذلك انهم قالوا ان الغائب في هذا بخلاف الشاهد وذلك ان الشاهد زعموا انما اتصف بالعدل والجور لمكان الجر الذي عليه في افعاله من الشريعة فمتى فعل الانسان شيئا هو عدل بالشرع كان عدلا ومن فعل ما وضع الشرع انه جور فهو جائز قالوا واما من ليس مكلفا ولا داخلا تحت جر الشرع فليس يوجد في حقه فعل هو جور او عدل بل كل افعاله عدل والتزموا انه ليس هاهنا شي هو في نفسه عدل ولا شي هو في نفسه جور وهذا في غاية الشناعة بانه ليس يكون هاهنا شي هو في نفسه خير ولا شي هو في نفسه شر فان العدل معروف بنفسه انه خير وان الجور شر فيكون الشرك بالله ليس في نفسه جورا ولا ظلما الا من جهة الشرع وانه لو ورد الشرع بوجوب اعتقاد الشريك له لكان عدلا وكذلك لو ورد بمعصيته لكان عدلا وهذا خلاف المسموع والمعقول اما المسموع فان الله قد وصف نفسه في كتابه بالقسط ونفي عن نفسه الظلم فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم

قائماً بالقسط وقال تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقال ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولا لكن الناس انفسهم يظلمون . . . فان قيل فيما تقول في اضلال للعبد اهو جور ام عدل وقد صرحت الله في غير ما آية من كتابه انه يضل ويهدى مثل قوله تعالى يضل الله من يشاء وبهدي من يشاء ومثل قوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها قلنا هذه الآيات ليس يمكن ان تحمل على ظاهرها وذلك ان هاهنا آيات كثيرة تعارضها بظاهرها مثل الآيات التي نفي فيها سبحانه عن نفسه الظلم ومثل قوله تعالى ولا يرضي العبادة الكفر وهو بين انه اذا لم يرض لهم الكفر انه ليس يضليهم وما تقوله الاشعرية من انه يجوز على الله ان يفعل ما لا يرضاه او يأمر بما لا يريده فنعود بالله من هذا الاعتقاد في الله سبحانه وهو كفر وقد يدل ذلك على ان الناس لم يُضلوا ولا خلقوا للضلالة قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها وقوله اذ اخذ ربكم من ظهورهم الآية وقول النبي صلعم كل مولود يولد على الفطرة واذا كان هذا التعارض موجوداً وجب الجمع بينهما على نحو ما يوجبه العقل فنقول اما قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء فهي المشيئة السابقة التي اقتضت ان يكون في اجناس الموجودات خلق ضالون اعني مهينين للضلالة بطبعتهم ومسوقين اليه بما تكتفهم من الاسباب المضلة من داخل ومن خارج واما قوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها معناه لو شاء الا يخلق خلقاً مهينين ان يعرض لهم الضلال اما من قبل طباعهم واما من قبل الاسباب التي من خارج او من قبل الامرين كليهما لفعل ولكن خلقه الطياع في ذلك مختلفة عرض ان تكون بعض الآيات مضللة لقوم وهداية لقوم لا ان هذه

الآيات ممّا قصد بها الأصلال مثل قوله تعالى يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الآفاسقين ومثل قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي أربناك الآ فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ومثل قوله في اثر تعددية ملائكة النار كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اي انه يعرض للطبايع الشريرة ان تكون هذه الآيات في حقهم مصلحة كما يعرض للأبدان الرديئة ان تكون الأغذية النافعة مضرّة بها فان قيل فما الحاجة الى خلق صنف من المخلوقات يكونون بطبعهم مهبيئين للضلال وهذا هو غاية الجور قيل ان الحكمة الالهية اقتضت ذلك وان الجور كان يكون في غير ذلك وذلك ان الطبيعة التي منها خلق الانسان والتركيب الذي ركب عليه اقتضى ان يكون بعض الناس وهم الاقل شرارة بطبعهم وكذلك الاسباب المترتبة من خارج لهداية الناس لحقها ان تكون لبعض الناس مصلحة وان كانت للاكثر مرشدة فلم يكن بد بحسب ما تقتضيه الحكمة من احد امررين اما الآ يخلق الانواع التي وجد فيها الشرور في الاقل والخير في الاكثر فيعدم الخير الاكثر بسبب الشر الاقل واما ان يخلق هذه الانواع فيوجد فيها الخير الاكثر مع الشر الاقل وملعوم بنفسه ان وجود الخير الاكثر مع الشر الاقل افضل من اعدام الخير الاكثر لمكان وجود الشر الاقل وهذا السر من الحكمة هو الذي خفي على الملائكة حين قال الله سبحانه حكاية عنهم حين اخبرهم انه جاعل في الارض خليفة يعنيبني آدم قالوا اجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك الى قوله آني اعلم بما لا تعلمون يريد ان العلم الذي خفي عنهم هو انه اذا كان وجود شيء من الموجودات خيراً وشرّاً وكان الخير اغلب عليه ان الحكمة

تقتضي ايجاده لا اعدامه فقد تبيّن من هذا القول كيف ينسب اليه الاضلal مع العدل ونفي الظلم وانه آنما خلق اسباب الضلال لانه يوجد عنها غالباً الهدایة اكثراً من الاضلال وذلك ان من الموجودات ما اعطى من اسباب الهدایة اسباباً لا يعرض فيها اضلال اصلاً وهذه هي حال الملائكة ومنها ما اعطى من اسباب الهدایة اسباباً يعرض فيها الاضلال في الاقل اذ لم يكن في وجودهم اكثراً من ذلك لمكان التركيب وهذه هي حال الانسان . . فان قيل فيما الحكمة في ورود هذه الآيات المتعارضة في هذا المعنى حتى يضطر الامر فيها الى التأویل وافت تنفي التاویل في كل مكان قلنا ان تفهيم الامر على ما هو عليه الجمهر في هذه المسئلة اضطررنا الى هذا وذلك انهم احتاجوا ان يعرفوا بان الله تعالى هو الموصوف بالعدل وانه خالق كل شيء الخير والشر لمكان ما كان يعتقد كثيراً من الامم الضلال ان هاهنَا الاهين الاها خالقاً للخير والاها خالقاً للشر فعرفوا انه خالق الامرين جميعاً ولما كان الاضلال شرّاً وكان لا خالق له سواه وجب ان ينسب اليه كما ينسب اليه خلق الشر لakan ليس ينبغي ان يفهم هذا على الاطلاق لakan على انه خالق للخير لذات الخير و خالق للشر من اجل الخير اعنى من اجل ما يقترب به من الخير فيكون على هذا خلقه للشر عدلاً منه ومثال ذلك ان النار خلقت لما فيها من قوام الموجودات التي ما كان يصح وجودها لولا وجود النار لakan عرض عن طبيعتها ان تفسد بعض الموجودات لكن اذا قويس بين ما يعرض عنها من الفساد الذي هو الشر وبين ما يعرض عنها من الوجود الذي هو الخير كان وجودها افضل من عدمها فكان خيراً . . واما قوله تعالى لا يسأل

عما يفعل وهم يسألون فان معناه لا يفعل فعلًا من اجل انه واجب عليه ان يفعله لأن من هذا شأنه فيه حاجة الى ذلك الفعل وما كان هكذا فهو في وجوده يحتاج الى ذلك الفعل امّا حاجة ضرورة واما ان يكون به تمامًا والباري سبحانه يتمنى عن هذا المعنى فالانسان يعدل ليستفيد بالعدل خيرا في نفسه لو لم يوجد له ذلك الخير وهو سبحانه يعدل لا لأن ذاته تستكمل بذلك العدل بل لأن الكمال الذي في ذاته اقتضى ان يعدل فاذا فهم هذا المعنى هكذا ظهر انه لا يتتصف بالعدل على الوجه الذي يتتصف به الانسان لكن ليس يجب هذا ان يقال انه ليس يتتصف بالعدل اصلًا وان الافعال كلها تكون في حقه لا عدلا ولا جورا كما ظننته المتكلمون فان هذا ابطال لما يعقله الانسان وابطال لظاهر الشريعة ولكن القوم شعروا بمعنى وقعوا دونه وذلك انه اذا فرضنا انه لا يتتصف بعدل اصلًا بطل ما يعقل من ان هاهنا اشياء هي في نفسها عدل وخير واشياء هي في نفسها جور وشر اذا فرضنا ايضا انه يتتصف بالعدل على جهة ما يتتصف به الانسان لزم ان يكون في ذاته سبحانه نقص وذلك ان الذي يعدل فانما وجوده هو من اجل الذي يعدل فيه وهو بما هو عادل خادم لغيره وينبغى ان تعلم ان هذا القدر من التاويد ليس معرفة واجبة على جميع الناس وانما الذين تجب عليهم هذه المعرفة هم الذين عرض لهم الشك في هذا المعنى وليس كل احد من الجمهور يشعر بالمعارضات التي في تلك العمومات فمن لم يشعر بذلك ففرضه اعتقاد تلك العمومات على ظاهرها وذلك ان لورود تلك العمومات ايضا سببا آخر وهو انه ليس يتميز لهم المستحيل من الممكن والله تعالى لا يوسف بالاقتدار على المستحيل

فلو قيل لهم فيما هو مستحيل في نفسه مما هو عندكم ممكناً أعني في ظنونهم أن الله لا يوصف بالقدرة عليه فتخيلوا من ذلك نقصاً في الباري سبحانة وعجراً وذلك أن الذي لا يقدر على الممكن فهو عاجز ولما كان وجود جميع الموجودات بريئاً من الشر ممكناً في ظن الجمهور قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول متى لاملاً جهنم من الجن والإنس اجمعين فالجمهور يفهمون من هذا معنى والخصوص معنى وهو أنه ليس يجب عليه سبحانه أن يخلق خلقاً يقترب بوجودهم شرًّا فمعنى قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها أي لو شئنا خلقنا خلقاً ليس يقترب بوجودهم شرًّا بل الخلق الذين هم خير، حض فتكون كل نفس قد اوتت بـهداها وهذا القدر في هذه المسألة كافٍ ولنسر إلى المسألة الخامسة

المسألة الخامسة وهي القول في المعاد واحواله .. والمعاد متى اتفقت على وجوده الشرائع وقامت عليه البراهين عند العلماء وإنما اختلفت الشرائع في صفة وجوده ولم تختلف في الحقيقة في صفة وجوده وإنما اختلفت في الشاهدات التي مثلت بها للجمهور تلك الحال الغائبة وذلك أن من الشرائع من جعله روحانياً أعني للنفوس ومنها من جعله للجسام والنفوس معاً والاتفاق في هذه المسألة مبني على اتفاق الوحي في ذلك واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك أعني أنه قد اتفق الكل على أن للإنسان سعادتين آخرانية ودنياوية وإنبني ذلك عند الجميع على أصول يعترف بها عند الكل منها أن الإنسان أشرف من كثير من الموجودات ومنها أنه إذا كان كل موجود يظهر من أمره أنه لم يخلق عبثاً وأنه إنما خلق لفعل مطلوب منه وهو ثمرة وجوده فالإنسان أحرى بذلك وقد ذكر

الله تعالى على وجود هذا المعنى في جميع الموجودات في الكتاب العزيز فقال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلأ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وقال مثنيا على العلماء المعتبرين بالغاية المطلوبة من هذا الوجود الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرؤن في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلأ سبحانك فقنا عذاب النار وجود الغاية في الانسان اظهر منها في جميع الموجودات وقد نبه الله سبحانه عليها في غير ما آية من كتابه اخسستم أنتما خلقناكم عبشا وانكم البنا لا ترجعون وقال ايمحسب الانسان ان يترك سدى وقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون يعني الجنس من الموجودات الذي يعرفه وقال منتبها على ظهور وجوب العبادة من قبل المعرفة بالخالق وما لي لا اعبد الذي فطرنى واليه ترجعون واذا ظهر ان الانسان خلق من اجل افعال مقصودة به فظهور ايضا ان هذه الافعال يجب ان تكون خاصة لانا نرى ان واحدا واحدا من الموجودات انما خلق من اجل الفعل الذي يوجد فيه لا في غيره اعني الخاص به واذا كان ذلك كذلك فيجب ان تكون غاية الانسان في افعاله التي تخصه دون سائر الحيوان وهذه افعال النفس الناطقة ولما كانت النفس الناطقة جزءين جزء عملي وجزء علمي وجب ان يكون المطلوب الاول منه هو ان يوجد على كماله في هاتين القوتين اعني الفضائل العملية والفضائل النظرية وان تكون الافعال التي تكسب النفس هاتين الفضيلتين هي الخيرات والحسنات والتي تعوقها هي الشرور والسيئات ولما كان تقرير هذه الافعال اكثر ذلك بالوحى وردت الشرائع بتقريرها ووردت مع ذلك بتعريفها والحدث عليها

فامرت بالفضائل ونهت عن الرذائل وعرفت بالمقدار الذي فيه سعادة جميع الناس في العلم والعمل اعني السعادة المشتركة فعرفت من الامور النظرية ما لا بد لجميع الناس من معرفته وهي معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة الملائكة ومعرفة الموجودات الشريفة ومعرفة السعادة وكذلك عرفت من الاعمال القدر الذي تكون به النفوس فاضلة بالفضائل العبلية وبخاصة شريعتنا هذه فإنه اذا قويست بسائر الشرائع وجد انها الشريعة الكاملة باطلاق ولذلك كانت خاتمة الشرائع ولما كان الوحي قد اندر في الشرائع كلها بان النفس باقية وقامت البراهين عند العلماء على ذلك وكانت النفوس يلتحقها بعد الموت ان تتعرى من الشهوات الجسمانية فان كانت زكية تصافع زكاوها بتعربيها من الشهوات الجسمانية وان كانت خبيثة زادتها المفارقة حيثا لأنها تتداء بالرذائل التي اكتسبت وتشتد حسرتها على ما فاتها من التزكية عند مفارقتها البدن لأنها ليست يمكنها الاكتساب الا مع هذا البدن والى هذا المقام الاشارة بقوله ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين اتفقت الشرائع على تعريف هذه الحال للناس وسموها السعادة الاخيرة والشقاء الاخير ولما كانت هذه الحال ليس لها في الشاهد مثال وكان مقدار ما يدرك بالوحي منها يختلف في حق نبى نبى لتفاوتهم في هذا المعنى اعني في الوحي اختللت الشرائع في تمثيل الاحوال التي تكون لانفس السعداء بعد الموت ولانفس الاشقياء فمنها ما لم يمثل ما يكون هنالك للنفوس الزكية من اللذة وللشقيقة من الاذى بامر شاهيدة وصرحوا بان ذلك كله احوال روحانية ولذات ملكية ومنها ما اعتد في تمثيلها بالامور المشاهدة اعني

انها مثلت اللذات المدركة هنالك باللذات المدركة هاهاها بعد ان نفي عنها ما يقترب بها من الاذى ومتلوا الاذى الذى يكون هنالك بالاذى الذى يكون هاهاها بعد ان نفوا عنه هنالك ما يقترب به هاهاها من الراحة منه اما لان اصحاب هذه الشرائع ادركوا من هذه الاحوال بالوحى ما لم يدركها اولئك الذين مثلوا بالوجود الروحاني واما لانهم رأوا ان التمثيل بالمحسوسات هو اشد تفهيمًا للجمهور والجمهور اليها وعنها اشد تحركًا فاخبروا ان الله تعالى يعيid النفوس السعيدة الى اجساد تنعم فيها الدهر كله باشد المحسوسات نعييما وهو مثلا الجنّة وانه تعالى يعيid النفوس الشقيقة الى اجساد تتناظر فيها الدهر كله باشد المحسوسات اذى وهو مثلا النار وهذه هي حال شريعتنا هذه التي هي الاسلام في تمثيل هذه الحال ووردت عندنا في الكتاب العزيز ادلة مشتركة التصديق للجميع في امكان هذه الاحوال اذ ليس يدرك العقل في هذه الاشياء اكثرا من الامكان في الادراك المشترك للجميع وهي كلها من باب قياس امكان وجود المساوى على وجود مساوية اعني على خروجه للوجود وقياس امكان وجود الاقل والاكثر على خروج الاعظم والاكبر للوجود مثل قوله وضرب لنا مثلا ونسى خلقة الآية فان الجنة في هذه الآيات هي من جهة قياس العودة على البدأة وهما متساويان وفي هذه الآية مع هذا القياس المثبت لامكان العودة كسر لشبهة المعاند لهذا الرأي بالفرق بين البداية والعودة وهو قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ثاراً والشبهة ان البداية كانت من حرارة ورطوبة والعودة من برد ويبس فعوّدت هذه الشبهة بانا نحسن ان الله تعالى يخرج الضد من الضد ويخلق منه كما يخلق الشبيه من

الشبيه واما قياس امكنا وجود الاقل على وجود الاكثر فمثل قوله تعالى في الآية اوليس الذي خلق السموات والارض ب قادر على ان يخلق مثلهم بل وهو الخلاق العليم فهذه الآيات تهدى دليلين على البعث وابطال حجة المحادد للبعث ولو ذهبنا لنقضى الآيات الواردة في الكتاب العزيز لهذه الادلة لطال القول وهي كلها من الجنس الذي وصفنا . فالشرع كالها كما قلنا متفقة على ان للنفوس من بعد الموت احوالاً من السعادة او الشقاء ويختلفون في تمثيل هذه الاحوال وتفهيم وجودها للناس ويشبه ان يكون التمثيل الذي في شريعتنا هذه اقرب افهماما لاكثر الناس واكثر تحريكاً لنفسهم الى ما هنالك والاكثر هم المقصود الاول بالشرع واما التمثيل الروحاني فيشبه ان يكون اقل تحريكاً لنفس الجمورو الى ما هنالك والجمهور اقل رغبة فيه وخوفاً له منهم في التمثيل الجسماني ولذلك يشبه ان يكون التمثيل الجسماني اشد تحريكاً الى ما هنالك من الروحاني والروحاني اشد قبولاً عند المتكلمين المجادلين من الناس وهم الاقل . ولهذا المعنى نجد اهل الاسلام في فهم التمثيل الذي جاء في ملتمنا في احوال المعاد ثلاثة فرق فرق رأت ان ذلك الوجود هو بعينه هذا الوجود الذي هاهنا من النعيم واللذة اعني انهم رأوا انه واحد بالجنس وانه ائماً يختلف الوجودان بالدراوم والانقطاع اعني ان ذلك دائم وهذا منقطع وطاقة رأت ان الوجود متباین وهذه انقسمت قسمين طائفة رأت ان الوجود الممثل بهذه المحسوسات هو روحاني وانه ائماً مثيل به ارادة البيان ولهمواه حجج كثيرة من الشريعة مشهورة فلا معنى لتعديدها وطاقة رأت انه جسماني لكن اعتقادت ان تلك الجسمانية الموجودة هنالك مخالفة لهذه الجسمانية لكون

هذه بالية وتلك باقية ولهذه ايضا حج من الشرع ويشبه ابن عباس ان يكون متن يرى هذا الرأى لانه روى عنه انه قال ليس في الدنيا من الآخرة الا الاسماء ويشبه ان يكون هذا الرأى هو اليق بالخواص وذلك ان امكان هذا الرأى يبني على امور ليس فيها منازعة عند الجميع احدها ان النفس باقية والثاني انه ليس يلحق عن عودة النفس الى اجسام اخر المحال الذى يلحق عن عودة تلك الاجسام بعينها وذلك انه يظهر ان مواد الاجسام التي هاهنا توجد متعاقبة ومنتقلة من جسم الى جسم واعنى ان المادة الواحدة بعينها توجد لاشخاص كثيرة في اوقات مختلفة وامثال هذه الاجسام ليس يمكن ان توجد كلها بالفعل لأن مادتها هي واحدة مثال ذلك ان انساناً مات واستحال جسمه الى التراب واستحال ذلك التراب الى نبات فاغتصى انسان آخر من ذلك النبات فكان منه مني تولد منه انسان آخر واما اذا فرضت اجسام اخر فليس تلحق هذه الحال والحق في هذه المسألة ان فرض كل انسان فيها هو ما ادى اليه نظره فيها بعد ان لا يكون نظراً يفضي الى ابطال الاصل جملة وهو انكار الوجود جملة فان هذا النحو من الاعتقاد يوجب تكفير صاحبه لكون العلم بوجود هذه الحال للانسان معلوماً للناس بالشائع والعقول فهذا كله يبني على بقاء النفس .. فان قيل فهل في الشرع دليل على بقاء النفس او تنبية على ذلك قلنا ذلك موجود في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية ووجه الدليل في هذه الآية انه سرّى فيها بين النوم والموت في تعطيل فعل النفس فلو كان تعطل فعل النفس في الموت لفساد النفس لا بتغيير آلة النفس لقد كان يجب ان يكون

تعطل فعلها في النوم لفساد ذاتها ولو كان ذلك كذلك لما عادت عند الانتباه على هيئتها فلما كانت تعود عليها علمنا أن هذا التعطل لا يعرض لها لامر لحقها في جوهرها وإنما هو شيء لحقها من قبل تعطل آلتها وأنه ليس يلزم اذا تعطلت الآلة ان تتتعطل النفس والموت هو تعطل فواجـب ان يكون للآلـة كالحال في النوم وكما يقول الحـكيم ان الشـيـخ لو وجد عينـا كعـينـا الشـاب لأبـصر كما يبـصر الشـاب فـهـذا ما رأـينا ان ثـبـتهـ في الكـشـفـ عن عـقـائـدـ هـذـهـ الـمـلـةـ التـيـ هيـ مـلـتـنـاـ مـلـةـ الـاسـلـامـ .. وقد بـقـىـ عـلـيـنـاـ مـاـ وـعـدـنـاـ بـهـ انـ نـنـظـرـ فـيـمـاـ يـجـوزـ مـنـ التـاوـيلـ فـيـ الشـرـيـعـةـ وـمـاـ لـاـ يـجـوزـ وـمـاـ جـازـ مـنـهـ فـلـمـ يـجـوزـ وـنـخـتـمـ بـهـ القـولـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ فـنـقـولـ اـنـ الـمـعـانـيـ الـمـوـجـودـةـ فـيـ الشـرـعـ تـوـجـدـ عـلـىـ خـمـسـةـ اـصـنـافـ وـذـلـكـ اـنـهـاـ تـنـقـسـمـ اوـلـاـ إـلـىـ صـنـفـيـنـ صـنـفـ غـيرـ مـنـقـسـمـ وـيـنـقـسـمـ الـآخـرـ مـنـهـمـ إـلـىـ أـرـبـعـةـ اـصـنـافـ فـالـصـنـفـ الـأـوـلـ الـغـيـرـ مـنـقـسـمـ هـوـ اـنـ يـكـونـ الـمـعـنـىـ الـذـىـ صـرـحـ بـهـ هـوـ بـعـيـنـهـ الـمـعـنـىـ الـمـوـجـودـ بـنـفـسـهـ وـالـصـنـفـ الـثـانـيـ الـمـنـقـسـمـ هـوـ اـنـ لـاـ يـكـونـ الـمـعـنـىـ الـمـصـرـحـ بـهـ فـيـ الشـرـعـ هـوـ الـمـعـنـىـ الـمـوـجـودـ وـإـنـمـاـ اـخـذـ بـدـلـهـ عـلـىـ جـهـةـ التـمـيـيـلـ وـهـذـاـ الـصـنـفـ يـنـقـسـمـ أـرـبـعـةـ اـقـسـامـ اوـلـهـاـ اـنـ يـكـونـ الـمـعـنـىـ الـذـىـ صـرـحـ بـمـثالـهـ لـاـ يـعـلـمـ وـجـودـهـ إـلـاـ بـمـقـايـيسـ بـعـيـدـةـ مـرـكـبةـ تـتـعـلـمـ فـيـ زـمـانـ طـوـيـلـ وـصـنـاعـةـ جـمـةـ وـلـيـسـ يـمـكـنـ اـنـ تـقـبـلـهـاـ إـلـاـ الـفـطـرـ الـفـائـقـةـ وـلـاـ يـعـلـمـ اـنـ الـمـثالـ الـذـىـ صـرـحـ بـهـ فـيـهـ هـوـ غـيـرـ الـمـمـثـلـ إـلـاـ بـمـثـلـ هـذـاـ الـبـعـدـ الـذـىـ وـصـفـنـاـ وـالـثـانـيـ مـقـابـلـ هـذـاـ وـهـوـ اـنـ يـكـونـ يـعـلـمـ بـعـلـمـ قـرـيبـ مـنـ الـأـمـرـانـ جـمـيـعـاـ اـعـنـىـ كـوـنـ مـاـ صـرـحـ بـهـ اـنـهـ مـثـالـ وـلـمـاـ هـوـ مـثـالـ وـالـثـالـثـ اـنـ يـكـونـ يـعـلـمـ بـعـلـمـ قـرـيبـ اـنـهـ مـثـالـ لـشـيـ وـيـعـلـمـ لـمـاـ هـوـ مـثـالـ بـعـلـمـ بـعـيـدـ وـالـرـابـعـ عـكـسـ هـذـاـ وـهـوـ اـنـ يـعـلـمـ بـعـلـمـ قـرـيبـ

لماذا هو مثال ويعلم بعلم بعيد انه مثال فاما الصنف الأول من الصنفين الاولين فتأويله خطأ بلا شك واما الصنف الأول من الثاني وهو بعيد في الامرين جميعاً فتأويله خاص في الراتحين في العلم ولا يجوز التصریح به لغير الراتحين واما المقابل لهذا وهو القريب في الامرين فتأويله هو المقصود منه والتصریح به واجب [واما الصنف الثالث فالامر فيه ليس كذلك] لأن هذا الصنف لم يات فيه التمثيل من اجل بعده على افهم الجمهور واتما اتي فيه التمثيل لتحریک النقوس اليه وهذا مثل قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في الارض وغيرها مما اشبه هذا مما يعلم بنفسه او بعلم قریب انه مثال ويعلم بعلم بعيد لماذا هو مثال فان الواجب في هذا الا يتأنله الا الخواص والعلماء ويقال للذين شعروا انه مثال ولم يكونوا من اهل العلم لماذا هو مثال اما انه من المتشابه الذي يعلمه العلماء الراتحين واما ان ينقل التمثيل فيه لهم الى ما هو اقرب من معارفهم انه مثال وهذا كانت اولى من جهة ازالة الشبهة التي في النفس من ذلك والقائلون في هذا النظر هو ما سلكه ابو حامد في كتاب التفرقة وذلك بان يعرف هذا الصنف ان الشي الواحد بعينه له وجودات خمس الوجود الذي يسميه ابو حامد الذاتي والحسنى والخيالى والعقلى والشهبى فاذا وقعت المسئلة نظر اي هذه الوجودات الاربع هي اقنع عند الصنف الذي استحال عندهم ان يكون الذي عنى به هو الوجود الذاتي اعنى الذي هو خارج فينزل لهم هذا التمثيل على ذلك الوجود الاعلى على ظنهم امكان وجوده وفي هذا النحو يدخل قوله عليه السلام ما من نبي لم اره الا وقد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار وقوله بين حوضى ومنبرى روضة من

رياض الجنة ومنبرى على حوضى وقوله كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب فان هذه كلها تدرك بعلم قريب انها امثال وليس يدرك لماذا هي امثال الا بعلم بعيد فيجيب في هذا ان ينزل للصنف الذين شعروا بهذا من الناس على اتراب تلك الوجودات الاربع شبهها فهذا الخرو من التأويل اذا استعمل في هذه الموضع وعلى هذا الوجه ساغ في الشريعة واما اذا استعمل في غير هذه الموضع فهو خطأ وابو حامد لم يفصل الامر في ذلك مثل ان يكون الموضع يعرف منه الامران جميعا بعلم بعيد اعني كونه مثلا ولماذا هو مثال فيكون هنالك شبهة توش في بادى الرأى انه مثال وتلك الشبهة باطلة فان الواجب في هذا ان تبطل تلك الشبهة ولا يعرف للتاويل كما عرفنا في هذا الكتاب في موضع كثيرة عرض فيها هذا الامر للمتكلمين اعني الاشعرية والمعتزلة واما الصنف الرابع وهو المقابل لهذا وهو ان يكون كونه مثلا معلوما بعلم بعيد الا انه اذا سلم انه مثال ظهر عن قريب لماذا هو مثال ففي تأويل هذا ايضا نظر اعني عند الصنف الذين يدركون انه ان كان مثلا فلماذا هو وليس يدركون انه مثال الا بشبهة وامر مقنع اذ ليسوا من العلماء الراشحين في العلم فيحتمل ان يقال ان الاحفظ بالشرع الا تتأول هذه وتبطل عند هؤلاء الامور التي ظنوا من قبلها ان ذلك القول مثال وهو الاولى ويحتمل ايضا ان يطلق لهم التاويد لقوه الشبه الذى بين ذلك الشى وذلك المثل به الا ان هذين الصنفين متى ابىج التاويد فيهما تولدت منها اعتقادات غريبة وبعيدة من ظاهر الشريعة وربما فشت فانكرها الجمهور وهذا هو الذى عرض للصوفية ولمن سلك من العلماء هذا المسلك ولما تسلط على التاويد في هذه الشريعة

من لم تتميّز له هذه الموضع ولا تميّز له الصنف من الناس الذين يجوز التأويد في حقهم اضطراب الامر فيها وحدث فيهم فرق متباعدة يكفر بعضهم بعضاً وهذا كلّه جهل بمقصد الشرع وتعدي عليه وانت فقد وقفت من قولنا على مقدار الحظا الواقع من قبل التأويد وبودنا أن يتّفق لنا هذا الفرض في جميع اقاويل الشريعة اعني ان نتكلّم فيها بما ينبغي ان يقول او لا يقول وان اول فعند من يقول اعني في جميع المشكل الذي في القرآن والحديث ونعرف رجوعها كلّها الى هذه الاصناف الاربعة والفرض الذي قصدناه في هذا الكتاب فقد انقضى وانما قدمناه لانا رأينا اهم الاغراض المتعلقة بالشرع والله الموفق للصواب والكفيل بالثواب بمنته ورحمته وكان الفراغ منه في سنة خمس وسبعين وخمسين

كمل

ضميحة

المسئلة التي ذكرها ابو الوليد في فصل المقال رضي الله عنه

ادام الله عزتكم وابقى بركتكم وحجب عيون النوائب عنكم لما فقتم بجودة ذهنكم وكريم طبعكم كثيراً ممن يتعاطى هذه العلوم وانتهى نظركم البسديد الى ان وفتقتم على الشك العارض في علم القديم سبحانه مع كونه متعلقا بالاشيا، المحدثة عنه وجب علينا لمكان الحق ولمكان ارائه هذه الشبهة عنكم ان محل هذا الشك بعد ان نقول في تقريره فإنه من لم يعرف الربط لم يقدر على الحل والشك يلزم هكذا ان كانت هذه كلها في علم الله سبحانه قبل ان تكون فهل هي في حال كونها في علمه كما كانت فيه قبل كونها ام هي في علمه في حال وجودها على غير ما كانت عليه في علمه قبل ان توجد فان قلنا انها في علم الله في حال وجودها على غير ما كانت عليه في علمه قبل ان توجد لزم ان يكون العلم القديم متغيراً وان يكون اذا خرجت من العدم الى الوجود قد حدث هنالك علم زائد وذلك مستحيل على العلم القديم وان قلنا ان العلم بها واحد في الحالتين قيل فهل هي في نفسها اعني الموجودات الحادثة قبل ان توجد كما هي حين وجدت فسيجب ان يقال ليست في نفسها قبل ان توجد كما هي حين وجدت والا كان الموجود والمعدوم واحداً فاذا سلم الخصم هذا قيل له افليس العلم الحقيقي هو معرفة الوجود على ما هو عليه فاذا قال نعم قيل

فيجب على هذا اذا اختلف الشيء في نفسه ان يكون العلم به مختلف والا فقد علم على غير ما هو عليه فاذا يجب احد امرين اما ان يختلف العلم القديم في نفسه او تكون الحادثات غير معلومة له وكلا الامرين مستحيل عليه سبحانه ويوكل هذا الشك ما يظهر من حال الانسان اعني من تعلق علمه بالأشياء المعدومة على تقدير الوجود وتعلق علمه بها اذا وجدت فانه من البين بنفسه ان العلمين متغايران والا كان جاهلا بوجودها في الوقت الذي وجدت فيه وليس ينجي من هذا ما جرت به عادة المتكلمين في الجواب عن هذا بانة تعالى يعلم الاشياء قبل كونها على ما تكون عليه في حين كونها من زمان ومكان وغير ذلك من الصفات المختصة بموجود موجود فانه يقال لهم فاذا وجدت فهل حدث هنالك تغير او لم يحدث وهو خروج الشيء من العدم الى الوجود فان قالوا لم يحدث فقد كابروا وان قالوا حدث هنالك تغير قيل لهم فهل حدث هذا التغير معلوم للعلم القديم ام لا فيلزم الشك المتقدم وبالجملة فيعسر ان يتصور ان العلم بشيء قبل ان يوجد والعلم به بعد ان وجد علم واحد بعيده فهذا هو تقرير هذا الشك على ابلغ ما يمكن ان يقرر به على ما فاوضناكم فيه .. وحل هذا الشك يستدعي كلاما طويلا الا انا هاهنا نقصد للنكتة التي بها ينخلع وقد رام ابو حامد حل هذا الشك في كتابه المرسوم بالتهافت بشيء ليس فيه مقنع وذلك انه قال قوله معناه هذا وهو انه زعم ان العلم والمعلوم من المضاف وكما انه قد يتغير احد المضافين ولا يتغير المضاف الآخر في نفسه كذلك يشبه ان يعرض للاشياء في علم الله سبحانه اعني ان تتغير في انفسها ولا يتغير علمه سبحانه بها ومثال

ذلك في المضاف أنه قد تكون الاسطوانة الواحدة يمنة زيد ثم تعود يسرته وزيد بعد لم يتغير في نفسه وليس بصادق فان الاضافة قد تغيرت في نفسها وذلك ان الاضافة التي كانت يمنة قد عادت يسرة وانما الذي لم يتغير هو موضوع الاضافة اعني الحامل لها الذي هو زيد واذا كان ذلك كذلك وكان العلم هو نفس الاضافة فقد يجب ان يتغير عند تغيير المعلوم كما تتغير اضافة الاسطوانة الى زيد عند تغييرها وذلك اذا عادت يسرة بعد ان كانت يمنة والذي ينحى به هذا الشك عندنا فهو ان يعرف الحال في العلم القديم مع الموجود خلاف الحال في العلم المحدث مع الموجود وذلك ان وجود الموجود هو علة وسبب لعلمنا والعلم القديم هو علة وسبب للموجود فلو كان اذا وجد الموجود بعد ان لم يوجد حدث في العلم القديم علم زائد كما يحدث ذلك في العلم المحدث للزم ان يكون العلم القديم معلولاً للموجود لا علة له فإذا واجب ان لا يحدث هنالك تغيير كما يحدث في العلم المحدث وانما اتي هذا الغلط من قياس العلم القديم على العلم المحدث وهو قياس العائب على الشاهد وقد عرف فساد هذا القياس وكما انه لا يحدث في الفاعل تغيير عند وجود مفعوله اعني تغييراً لم يكن قبل ذلك كذلك لا يحدث في العلم القديم سبحانه تغيير عند حدوث معلومة عنه فإذا قد اخلى الشك ولم يلزمنا انه اذا لم يحدث هنالك تغيير اعني في العلم القديم فليس يعلم الموجود في حين حدوثه على ما هو عليه وانما لزم الا يعلمه بعلم حدث الا بعلم قديم لأن حدوث التغيير في العلم عند تغيير الموجود انما هو شرط في العلم المعلوم عن الموجود وهو العلم المحدث فإذا العلم القديم انما يتعلق بالموجود على

صفة غير الصفة التي يتعلّق بها العلم المحدث لا انه غير متعلق اصلأ كما حكى عن الفلاسفة آنهم يقولون لموضع هذا الشك انه سجناه لا يعلم الجرئيات وليس الامر كما توقّم عليهم بل يرون انه لا يعلم الجرئيات بالعلم المحدث الذي من شرطه الحدوث بحدها اذ كان علة لها لا معلولاً عنها كالحال في العلم المحدث وهذا هو غاية التنزيه الذي يجب ان يعترف به فانه قد اضطر البرهان الى انه عالم بالأشياء لأن صدورها عنه اتى هو من جهة انه عالم لا من جهة انه موجود فقط او موجود بصفة كذا بل من جهة انه عالم كما قال تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقد اضطر البرهان الى انه غير عالم بها بعلم هو على صفة العلم المحدث فواجب ان يكون هنالك للموجودات علم آخر لا يكيف وهو العلم القديم سجناه وكيف يمكن ان يتصرّر ان المشائين من الحكمة يرون ان العلم القديم لا يحيط بالجرئيات وثم يرون انه سبب الانذار في المنامات والوحى وغير ذلك من انواع الالهامات فهذا ما ظهر لنا في وجه حل هذا الشك وهو امر لا مرية فيه ولا شك والله الموفق للصواب والمرشد للحق
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

كمل

I - II
LG

Druck von C. R. Schurich in München.



DRUCK VON C. R. SCHURICH IN MÜNCHEN.